الخشوع في الصلاة

للحافظ ابن رجب الحنبلي

المتوفى سنة ٧٩٥ هـ

تحقيق

أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي

دار الفضيلة



الإدارة : القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي - كلية البنات
مصر الجديدة ت وفاكس ٤١٨٩٦٦٥ رقم بريدي ١١٣٤١ هليوبوليس
المكتبة : ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات : دبي - ديرة - ص.ب ١٥٧٦٥ ت ٢٦٩٤٩٦٨ فاكس ٢٦٢١٢٧٦



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . .

وبعد :

فلا يخفى على كل مسلم أن الصلاة هى عماد الدين ، وغُرّة الطَّاعات ، وأفضل عبادات الأبدان بعد المعرفة بالله والإيمان به ، الذى هو شرط فى كل عبادة ؛ ولشرفها وفضلها وصفها الله بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[1] ، وهى من أعظم الأسباب لتكفير الخطيئات ورفع الدرجات ، وهى التى تُجَدِّد العهد مع

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٥ .

الله فى كل يوم خمس مرات ، وقد جمع الله فيها أنواعًا من أعمال القلوب والألسن والجوارح ما بين فرض ، وندب بما لا يوجد فى غيرها من العبادات ؛ ولا أجد تعبيرًا فى أهمية الصلاة ، وعِظَم أمرها فى الإسلام أصدق ممَّا قاله الفاروق عمر بن الخَطاب ﵁ حيث يقول : « **إنَّ أهم أُموركم عندى الصَّلاة ، مَنْ حفظها وحافظ عليها فقد حفظ دينه ، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع** »[1] .

واعلم أخى المسلم أن الخشوع هو روح الصلاة وحياتها ونورها ، وبه تصعد إلى الملأ الأعلى ، وترفرف فى السماوات العُلا .

والخشوع له معان عديدة ذكرها السلف رضوان الله عليهم ، منها : أنه قيام القلب بين يدى الرب بالخضوع والذُّل ، وهو انكسار القلب وإخباته وتواضعه لله وذلّته

---

(١) رواه مالك فى « الموطأ » (١/٦) وعبد الرزاق فى « مصنفه » (١/٥٣٦) بسند صحيح .

وسكون الجوارح أمام خالقها ، وخمود نيران الشهوة ، وإشراق نور التعظيم لله فى القلب ، ولخَّصه بعضهم فقال : هو معنى يلتئم من التعظيم لله والمحبة والذُّل والانكسار له [1] ، وقد ذكر الله الخشوع فى أول ما ذكر من صفات عباده المؤمنين المصلِّين ، فقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [2] ، ووصف أهل الصلاة بقوله : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [3] .

ولقد فرّط كثيرٌ من المصلِّين فى هذا الأمر الخطير الشأن ، فتجد المرء يصلى ، وقلبه متعلِّق بالدنيا وشئونها وأحوالها ، دائم التفكير بأمرها فى صلاته ، يهيم قلبه فى أرجائها ، فَيَحْضُر بدنه ولسانه ، ويغيبُ قلبه وفِكْره عن

---

(١) انظر : فى معنى الخشوع تفصيلاً فى « مدارج السالكين » لابن القيم ١/٥٢١ - ٥٢٣) .

(٢) سورة المؤمنون ، الآيتان : ١ ، ٢ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٤٥ .

الله ، وهذا ما تنبَّأ به الصحابىُّ الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه صاحب سِرِّ رسول الله ﷺ حيث قال : « **أول ما تفقدون من دينكم الخشوع ، ورُبَّ مُصلٍّ لا خير فيه ، ويوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيهم خاشعًا** »[(1)] .

ولقد أخبر النبىُّ ﷺ أن المرء لا يكتب له من صلاته إلاَّ بالقدر الذى حضر فيه قلبه وفكره ، فعن عمَّار بن ياسر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنَّ العبد ليصلّى فينصرف وما كُتِبَ له من صلاته إلاَّ عُشرها ، أو تُسعها أو ثُمنها ، أو سُبعها حتى انتهى إلى آخر العدد** »[(2)] .

---

(١) صحيح : رواه ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٣٤٨٨) ، وأبو عمرو الدانى فى « السنن » (٣/ ٥٣٤) ، وابن أبى عاصم فى « الزهد الكبير » ص ١٧٩ ، والحاكم (٤/ ٤٦٩) ، وصححه وأقره الذهبى .

(١) صحيح : رواه أبو داود (٧٩٦) ، والنسائى فى « الكبرى » (١/ ١١) ، وابن حبان (١٨٨٩ - إحسان) ، وأحمد (٤/ ٣٢١) ، وأبو يعلى فى « مسنده (٣/ ١٨٩) بإسناد صحيح .

فإقبال المسلم على الله بقلبه شرط مهم أخبر عنه النبىُّ ﷺ فقال : **« ما من مسلم يتوضَّأ فيُحْسن الوضوء ، ثم يقوم فيصلِّى ركعتين مُقْبلاً عليهما بقلبه ووجهه إلاَّ وجبت له الجنة »** [1] .

وقد يبلغ الرجل من الكِبَرِ مَبْلَغُه ، وما تَكْمُلُ له صلاة صَلاَّها ، وذلك لأنه لم يُحقق الخُشوع الواجب فيها ، وفى ذلك يقول عمر رضي الله عنه : **« إنَّ الرجل لتشيب عارضاه** [2] **فى الإسلام ، وما أكملَ اللَّهُ له صلاة ، قيل : وكيف ذلك؟ قال : لا يتمُّ خشوعها ولا تواضعها ، ولا إقباله على اللَّه فيها »** [3] .

وقد يظنُّ كثيرٌ من المسلمين أن الرجل إذا ظهر فى وجهه علامة السجود أنه من الخاشعين ، وقد يذكر بعضهم

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم (١٧/ ٢٣٤) ، وأحمد (٤/ ١٤٥) ، والنسائى (١/ ٩٥) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه .

(٢) **عارضاه** : صَفْحَتا خدَّيْهِ ، كذا فى « المصباح المنير » (٢/ ٤٠٤) .

(٣) ذكره عبد الحق الأشبيلى فى « الصلاة والتهجد » ص ١٨٢ .

قوله تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾[1] مستدلاً على ذلك ، وإليهم أسوق هذا الأثر الذى رواه ابن أبى حاتم فى « تفسيره » عن منصور ، عن مجاهد بن جَبْر - وهو من أئمة التابعين ممن تلقّوا التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما - بعد أن قرأ هذه الآية السابقة **قال مجاهد** : أثر السجود هو الخشوع . **قال منصور** : أليس هو الأثر الذى فى الوجه ؟ **فقال مجاهد** : ربما كان هذا الأثر بين عينى من هو أقسى قلبًا من فرعون ، وأنه ليكونُ بين عينيه مثل ركبة العنز وهو كما شاء الله »[2] .

ومن هذا المنطلق كانت الحاجة إلى نشر كتاب الحافظ ابن رجب الحنبلى « **الخشوع فى الصلاة** » لتذكير المسلمين المصلِّين بأهمية هذا الأمر .

---

(1) سورة الفتح ، الآية : ٢٩ .
(2) الأثر ثابت رواه الطبرى فى « تفسيره » (٢٦/ ١١٠) ، والبيهقى « السنن الكبرى » (٢/ ٢٨٧) واللفظ لابن أبى حاتم كما فى « فتح البارى (٨/ ٥٨٢) ، **وانظر** : « الدر المنثور » (٧/ ٥٤٢) .

مباحث مهمة
تتعلق بالخشوع فى الصلاة

• حُكم الخُشوع فى الصَّلاة :

ذهب جمعٌ من أئمة المسلمين إلى أنَّ خُشوع المرء فى صلاته واجب لا تصحّ الصلاةُ إلاَّ به ، فعلى المرء أن يجمع هِمَّته ، وعقله ، وقلبه فى الصلاة حسب استطاعته ، وأن يُحقق السكينة والطمأنينة فى أفعالها ، وقد اختار ذلك الإمام الغزالى ، والقاضى حسين ، وأبو زيد المرزوى من أئمة الشافعية ، كما حكاه عنهم المحبُّ الطبرى ، ورجَّحه الإمام القرطبى من أئمة المالكية فى « تفسيره » ، ومن الحنابلة الإمام ابن الجوزى ، وعبد الله بن حامد ، وأبو المعالى من أئمة الحنابلة من أصحاب الإمام أحمد ، ورجَّحه الإمام ابن تيمية ، وابن القيم فى بحث مُطوَّل [1]

---

(١) مصادر هذه المسألة هى : تفسير القرطبى (١٢/ ١٠٤) ، =

وقد انتصر الغزالى لهذا الرأى فى « إحيائه »[1] واحتجَّ له بِعدَّة أدلة وآثار عن الصحابة والتابعين **نذكر منها** :

• ما روى عن معاذ بن جبل ﷺ ، وابن عباس رضى الله عنهما ، **قالا** : من عرف من على يمينه وشماله مُتَعَمِّدًا وهو فى الصلاة فلا صلاة له .

• وعن الحسن البصرى **قال** : كلُّ صلاة لا يحضر فيها القلب فهى إلى العقوبة أسرع .

• وعن عبد الواحد بن زيد - من أئمة التابعين - **قال** : أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلاَّ ما عقل منها .

= « مجموع الفتاوى » لابن تيمية (٢٢/ ٥٥٣ - ٥٥٤) ، « المبدع » لابن مفلح (١/ ٤٨٣ - ٤٩٩) ، « الفروع » له (١/ ٣٨٠) « الإنصاف » للمروداى (٢/ ١١٨) « كشف القناع » للبهوتى (١/ ٣٩٣) ، « المجموع » للنووى (٣/ ٢٦٠ - ٢٦٣) ، « فتح المعين » (١/ ٢٨٣) ، « سبل السلام » للصنعانى (١/ ١٤٧) ، « مدارج السالكين » لابن القيم (١/ ١١٢) ، فتح البارى (٢/ ٢٦٤) .

(١) « إحياء علوم الدين » للغزالى (١/ ١٦١) .

قال الإمام الغزالى بعد أن ذكر هذه الآثار وغيرها : والآثار ظاهرة فى هذا الشرط [1] فإن قلت : أليس قد ذكر النووى وابن حجر عن الجمهور أنها تجزئه هذه الصلاة وإن لم يحقق الخشوع فيها ، ولا يؤمر بالإعادة ، **فالجواب عن ذلك أن نقول** : حَقَّقَ الإمام ابن القيم هذه المسألة فكان ممَّا **قاله** :

« وأما الاعتداد بها فى أحكام الدنيا وسقوط القضاء ، فإن غلب عليها الخشوع وتعقَّلها اعتُدَّ بها إجماعًا ، وكانت السُّنن والأذكار جَوَابِر ومكمِّلات لنقصها ، وإن غلب عليها عدم الخشوع وعدم تعقُّلها فقد اختلف الفُقَهاء فى وجوب إعادتها فأوجبها ابن حامد والغزالى ، وذهب أكثر الفُقَهاء أن براءة الذمة تحصل بفعلها ، ويَسْقُطُ القضاء ، ولكنها كصلاة المرائى لا ثواب فيها ، ولا تنفعه فى الآخرة » [2] .

---

(١) « الإحياء » (١/ ١٦١ - ١٦٢) .

(٢) « مدارج السالكين » لابن القيم (١/ ٥٢٦ - ٥٢٨) .

وما أجمل ما قاله الإمام الغزالى - بعد تعقيبه على رأى من لم يذكر هذا الشرط - وهو الخشوع - لصحة الصلاة **بقوله** : « اعلم أن الفُقَهاء لا يتصرفون فى الباطن ولا يشقُّون عن القلوب ، ولا يتكلمون فى طريق الآخرة ، بل يبنون أحكام الدنيا على ظاهر أعمال الجوارح ، وظاهر الأعمال كافٍ لسقوط القتل أو التعْزير من السلطان عمن أدى الصلاة فى الظاهر ، فأما ما ينفع فى الآخرة ، ويُثاب عليه ، فليس هذا من حدود الفقه »[1] .

• ذهاب العقل فى أمور الدنيا هل يبطل الصَّلاة ؟ :

وَيَرِدُ هنا سؤال فى ذهن القارئ بعد قراءته لما نقلنا عن جمع من أهل العلم فى وجوب الخشوع وحضور القلب فى الصلاة ، هل يعنى ذلك أن المرء - كما يحدث فى الغالب - إذا ورد على فكره وقلبه شئون الدنيا ، هل تفسد صلاته بذلك ، وهل يسلم من ذلك أحدٌ منا ؟ **فالجواب على ذلك**

(١) « الإحياء » (١/ ١٦١ - ١٦٢) .

أن نقول : لقد صرَّح أهل العلم كابن المنير ، والمحب الطبرى ، وابن بطَّال فيما نقله عنهم ابن حجر بما ملخَّصه : « إنه على الإنسان أن يُقْبِلَ على صلاته بقلبه ونيته ، يريد بذلك وجه الله ، وأن يجتهد فى إحضار ذهنه وعقله فى صلاته ، ولا طاقة له ولا يُلام بعد ذلك على ما قد يرد على قلبه من أمور الدنيا مع اجتهاده ، وحِرْصه على محاولة تركيزه فى صلاته »[1] .

• وسائل الخشوع فى الصلاة :

إن السؤال الذى بات يشغل الكثيرين منا - من أهل الصلاة - هو : كيف نستطيع تحقيق الخشوع فى صلاتنا ؟ وكيف يصرف المرء عن قلبه أمور الدنيا وهو أمام ربه ، واقف بين يديه ؟ **فالجواب** : أن ذلك يتحقق بعِدَّة أشياء ذُكرت مفرَّقة فى كتب أهل العلم منها :

---

(١) **انظر بالتفصيل** : « فتح البارى » (٢/ ٢٦٤ - ٢٦٥) .

١ - إحضار القلب فى الصلاة :

ومعناه أنه على المصلِّ أن يُفرِّغ قلبه ما استطاع من شواغل الدنيا وأمورها قبل أن يدخل فى الصلاة ، فمتى أهمَّك أمرٌ حضر فيه قلبك ضرورة ، فلا علاج لإحضاره إلا صرف الهِمَّة إلى الصلاة ، وانصراف الهِمَّة تختلف أحوالها قُوَّة وضَعْفًا بحسب قوة الإيمان بالآخرة ، واحتقار الدنيا ، فمتى رأيت قلبك لا يحضر فى صلاتك ، فاعلم أن سبب ذلك ضعف الإيمان ، فعليك أن تجتهد فى تقويته [1] .

٢ - التفهُّم لمعانى القرآن وأذكار الصلاة :

وذلك بأن يجتهد المصلِّ فى التفكر والتفهُّم لِمَا يُقْرَأ عليه من كلام الله فى صلاته عملاً بقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [2] ، وكذلك يحاول أن يلاحظ معانى

---

(١) انظر : « مختصر منهاج القاصدين » ص ٣٠ ، « الإحياء » (١/ ١٦٢) .
(٢) سورة محمد ، الآية : ٢٤ .

الأذكار والأدعية ، فيتفكّر فى كل ذكر شُرِع فى الصلاة ، ومعناه الخاص به ويستحضره بقلبه ، فيثنى به على الله مع حضور معناه فى قلبه ، فيواطئ القلبُ اللسانَ ، ومن الأمثلة التى يمكن للمرء أن يقيس عليها :

إذا قال المصلِّى « **سبحان ربّى العظيم** » أن يلاحظ فيه معنى التسبيح الذى هو سلب النقائص وكل ما لا يليق بالله فى أسمائه وصفاته ، ويلاحظ كذلك معنى الربوبية والعبودية فى قوله « **ربّى** » واقِفًا على معنى العظمة المستوجبة للرُّبُوبية والتسبيح ، وكذلك أن يُلاحظ معنى العُلو والقهر فى قوله « **سبحان ربى الأعلى** » المستوجب لعلُوِّه بذاته ، وصفاته ، وأفعاله وحكمته على كل شىء ، وإذا قال « **إياك نعبدُ** » لاحظ معنى العبادة وهى الطاعة على غاية الخضوع والذل والانكسار لله ، ونحو ذلك من المعانى [1] التى

---

(١) **انظر** : هذا الوجه بالتفصيل فى : « مقاصد الصلاة » للعز بن عبد السلام ص ١٧ - ٢٨ ، « الإحياء » للغزالى (١/ ١٦٤) ، « فتح المعين » (١/ ٢٨٣) .

لا يحصرها الذهن ولا القلم ، والتى إن أجراها المسلم فى صلاته على قلبه وعقله قطع على الشيطان طريق وسوسته وشُغْلِهِ بأمر الدنيا فى صلاته .

٣ - أن يعرف أن الصلاة هدية العبد إلى ربِّه :

قال بعض السلف : الصلاةُ كجارية تُهْدَى إلى ملك من الملوك ، فما الظنُّ بمن تُهْدَى إليه جارية شلَّاء ، أو عوراء ، أو عمياء ، أو مقطوعة اليد والرجل ، فكيف إذا أهْدِى إليه جارية ميتة بلا روح ، فكيف بالصلاة التى يهديها العبد ويتقرَّب بها إلى ربه إذا فقدت خشوعها الذى هو لُبها ورُوحها ، **وقالوا** : تعطيل القلب عن عبودية الحضور والخشوع تعطيل لملك الأعضاء عن عبوديته ، وعزلٌ له عنها ، فماذا تغنى طاعة الرعية ، وقد عزل ملكها وتعطّل ، والأعضاء تابعة للقلب تصلح بصلاحه ، وتفسد بفساده [1] .

---

(١) « مدارج السالكين » لابن القيم (١/ ٥٢٧) .

٤ - إزالة كل ما يُشَوِّش الخاطر فى الصلاة وفيه مسائل :

(أ) كراهية الصلاة للحاقن ، وبحضرة الطعام :

اتفق الفُقَهاء كما قال النووى ، وابن النجيم والشوكانى وغيرهم أنه على المسلم إذا أراد أن يدخل فى صلاته أن يبدأ بإزالة كل عارض يمكن إن يُشَوِّش فكره فيها [١] ، لذا كره الفُقَهاء أن يصلى الرجل وهو يُدافع البول أو الغائط ، وقد جاء النهىُ صريحًا فيما روته عائشة رضى الله عنها عن النبىِّ ﷺ قال : « **لا يصلين أحدكم بحضرة الطعام ، ولا هو يُدافعه الأخبثان** » [٢] .

وكذلك إذا حضره طعام أو شراب تتوق إليه نفسه ، وقد فَقِهَ الصحابة رضى الله عنهم هذا المعنى :

---

(١) **انظر** : هذا المبحث مُفَصَّلاً فى : « نيل الأوطار » (١/ ٤٠٧) ، « المجموع » (٤/ ١١٤ - ١١٧) « عون المعبود شرح أبى داود » (١/ ١١٢) ، « فتح البارى » (٢/ ١٦١) ، « شرح الزرقانى على الموطأ » (١/ ٥٩) ، « الإنصاف » (٢/ ٦٩) ، « روضة الطالبين » (١/ ٢٦٩) .

(٢) رواه مسلم (٦٧/ ٥٦٠) .

• فكان ابن عمر رضى الله عنهما يُوضع له الطعام وتُقَام الصلاة فلا يأتيها حتى يفرغ ، وإنه ليسمع قراءة الإمام [1] .

• وكان ابن عباس وأبو هريرة رضى الله عنهم يُوضع لهما طعامٌ وشواءٌ ، فجاء المؤذن ليقيم فقال ابن عباس رضى الله عنهما : لا تعجل حتى نأكل هذا الشواء ، ولا نقوم إلى الصلاة وفى أنفسنا شىء [2] .

• وما أجمل ما قاله الصحابى الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه : من فِقْه المرء إقباله على حاجته حتى يُقْبِل على صلاته وقلبه فارغ [3] .

---

(١) رواه البخارى كتاب الأطعمة ب/٥٨(٥٦٤٤) ، والبغوى فى « شرح السُّنة » (٢/ ٤٠٤) .

(٢) ذكره البغوى فى « شرح السُّنة » (٢/ ٤٠٤) ورواه ابن الجعد فى « مسنده » (٦/ ٢١٤) .

(٣) رواه ابن المبارك فى « الزهد » (١١٤٢) ، والمروزى فى « قدر الصلاة » (١٣٤) ، **وانظر** : « تغليق التعليق » لابن حجر (٢/ ٢٨٢ ، ٢٨٣) .

• **تنبيه مهم** : قيَّد الفُقَهاء هذا الذى ذكرناه آنفًا بحال إذا لم يَخف المصلىِّ فوات أو خروج وقت الصلاة ، أما إذا خشى ذلك فإنه يصلى مع العارض المذكور محافظة على حُرْمَة الوقت ، وهذا ما رجَّحه البغوى ، ونقله النووى عن جمهور العلماء[1] .

(ب) تأخير الصلاة عند اشتداد الحر :

اتفق الفقهاء على إزالة كل ما يعيق الخشوع أخذًا من أدلة الشرع لما ورد من تجويزه صلَّى الله عليه وسلم تأخير الظُّهر فى حال شدةِ الحر ؛ لأن المصلىِّ لو صلَّى فى تلك الحال ربَّما ذهب خُشوعه بسبب الحر .

قال الإمام العز بن عبد السلام فى قواعده : « قد يُقدِّم الشارع مصلحة راجحة على مصلحة مرجوجةٍ ، فإن المشى إلى الجماعات فى شدة الحر يُشَوِّش الخشوع الذى هو أفضل

---

(١) انظر : « المجموع » (٤/ ١١٧) ، « شرح السُّنة » (٣/ ٤٠٤) ، « عون المعبود » (١/ ١١٢) ، « فتح البارى » (٢/ ١٦١) ، « الإنصاف » (٢/ ٦٩) .

أوصاف الصلاة ، فقدم الخشوع على المبادرة التى لا تُدانيه فى الرُّتبة ، وبهذا المعنى أمر بالمشى إلى الجماعة بالسكينة والوقار مع ما فيه من تفويت النداء ؛ لأنه لو أسرع لذهب خشوعه فقدَّم الشرع رعاية الخشوع على المبادرة ، وعلى الاقتداء ، وكذلك تُؤَخَّر الصلاة بكل ما يُشَوِّش الخشوع » [1] .

(ج) جواز تغميض العينين إذا كان يحصل الخُشوع بذلك :

ذهب جمهور الفقهاء [2] إلى جواز تغميض العينين فى الصلاة ، فى حالة إذا كان يحصل للمصلِّ الخشوع بذلك ، ويستعين به على إحضار قلبه فى الصلاة ، خصوصًا إذا كان ينشغل بصره بما حوله .

---

(١) **انظر** : « قواعد الأحكام فى مصالح الأنام » (١/ ٣٣) .

(٢) **انظر** : هذه المسألة وآراء الفُقهاء فيها فى « فتح المعين » (١/ ٨٣) ، « فتح الوهاب » (١/ ٩٣) ، « روضة الطالبين » (١/ ١٦٩) ، « إعانة الطالبين » (١/ ١٦٥) ، « المجموع شرح المهذب » للنووى (٣/ ٢٦٠) ، « فتاوى العز بن عبد السلام » سؤال ٤٠ ، ٤١ .

قال النووى : بعد أن ذكر ما نقله كراهيته عن المتولى من الشافعية والطحاوى **قال** : ولم أجده لأحد من أصحابنا والمختار أنه لا يكره ؛ لأنه يجمع الخشوع ، وحضور القلب ، ويمنع من إرسال النظر ، واختار ذلك العز بن عبد السلام فى فتاواه ، وقد روى تجويزه عن محمد بن سيرين ونقله ذلك عن التابعين ، وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه [١] .

(د) جواز الحِكَّة ، ومسح العرق فى الصلاة :

قال الإمام ابن النجيم الحنفى [٢] : ويُكره العَبَث فى الصلاة ، وتعريفه بأنه فعل ليس فيه غرض شرعى ، وحاصله أن كل عمل مُفيد للمصلى فلا بأس أن يأتى به كَسَلْت العرق (إزالته) فى الصلاة ، وهو قول المشايخ ، وأما من كرهه فمراده أنه إذا لم تدْعُ حاجة إلى مَسْحه ،

---

(١) **انظر** : هذه الآثار فى « الصلاة والتهجد » لعبد الحق الأشبيلى ص ١٩٤ ، « تعظيم قدر الصلاة » (رقم ١٤٣) .

(٢) **انظر** : « البحر الرائق شرح كنز الدقائق » لابن النجيم الحنفى (٣/ ٢٠ - ٢١) .

وإذا كان المرء لا ينشغل به ، وكذلك الحك بيده فى بدنه جائزٌ ، وإنما يكون عبثًا إذا كان لغير حاجة ، أما إذا أكله شىءٌ فى بَدَنِه ، وانشغل به ، فلا بأس بِحَكِّه ولا يكون من العبث ، بخلاف الفرقعة ونحو ذلك ، وكذلك الشىء إذا كان مطويًا لم يكن السجود عليه ، فيُسَوِّيه مرة ؛ لأن فيه إصلاح صلاته .

٥ - النظر مَحَلّ السجود ، والمنع من الالتفات :

ومما يُعين كذلك على الخُشوع فى الصلاة النظر محلّ السجود أثناء الصلاة ، فإنهُ يعين على جمع القلب والفكر للعبد بين يدى ربه ، وعدم تَشَتُّت الذهن المرتب على نظر المرء أمامه، وفيه أحاديث وآثار سيذكرها ابن رجب ، وكذلك الالتفات فى الصلاة ، فإنه يصرف العبد عن ربه وهو مكروه .

وذهب بعض الفُقَهاء إلى تحريمه ، وهو مبطل للصلاة إذا التفت بصدره عن موضع القبلة ، وسيذكره ابن رجب مُفَصّلاً مسألتان إن شاء الله .

٦ - تذكُّر قصص الخاشعين من السلف :

ومما يُعين على الخشوع فى الصلاة تذكّر قصص الخاشعين من سلف هذه الأُمَّة من الصَّحابة والتابعين ، وكيف كان خشوعهم وهم بين يدى ربهم ، وأذكر طرفًا نافعًا من ذلك [١] .

• ما روى عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما : أنه كان يسجد فيطيل السجود حتى تنزل العصافير على ظهره من طول سجوده ، ما تجد إلاَّ أنه جذم حائط .

وكان يصلِّ فى الكعبة فجاء حجر المنجنيق فأخذ بطائفة من ثوبه فما انتقل أو تحرك من صلاته حتى فرغ ، وكان إذا صلى كأنه جزع شجرة من الخشوع .

قال الراوى : وكذلك كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

---

(١) **انظر هذه الآثار فى** « الصلاة والتهجد » لعبد الحق الأشبيلى ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، « تعظيم قدر الصلاة » ص ١١٢ ، « الإحياء » (١/ ١٦٠ - ١٦٥) ، « أحكام القرآن » لابن العربى (٣/ ١٣٠٨) .

• وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه إنه كان يتغيَّر وجهه ويتلوَّن إذا حضر وقت الصلاة **ويقول** : جاء وقت أداء أمانة عُرضت على السموات والأرض فأبيْنَ أن يحملنها وأشفقن منها .

• **قال سعيد بن جبير** : ما عرفت مَنْ على يمينى ولا من على شمالى فى الصلاة منذ أربعين سنة منذ سمعت ابن عباس رضى الله عنهما **يقول** : الخشوع فى الصلاة ألا يعرف المصلى من على يمينه وشماله .

• **قال مجاهد** رضي الله عنه : كنت إذا رأيت الصحابة إذا قاموا إلى الصلاة فكأنهم أجساد لا أرواح فيها من خشية الله .

• وكان عامر بن عبد الله بن قيس من خاشعى هذه الأمة ، فإذا صلى ضربت ابنتهُ بالدف ، وتحدث النساء بما يتحدثن به فلا يسمعهن ، ولا يعقل ما يفعلن ، **وقيل له ذات يوم** : أتحدث نفسك بشىء فى الصلاة ؟ قال : نعم . بوقوفى بين يدى الله ، ومنصرفى إلى أحد الداريْن : الجنة

أو النار ، **فقيل له** : إنما نقصد ما نُحدِّث به نحن أنفسنا من أمر الدنيا ، وما يُوسوس به الشيطان إلينا ، **فقال** : لأن تختلف الأَسِنّة (الرماح) فى صدرى أحبَّ إلىّ من ذلك .

- **التفكير لا ينافى الخشوع :**

اعلم أخى المسلم أن ما يرد على فكر المصلِّى فى أثناء عبادته من أمور الدين وهموم المسلمين لا يفسد الصلاة ، ولا يؤثر فيها ، فعن عمر رضي الله عنه **قال** : « إنى لأجهز جيشى وأنا فى الصلاة » [(١)] ، وعنه كذلك أنه **قال** : « إنى لأحسب جزية البحرين وأنا فى الصلاة » [(٢)] ، وروى صالح بن أحمد بسند حسن أن عمر رضي الله عنه صلى المغرب فلم يقرأ جهرًا فى أول صلاته ، **فقالوا له** : يا أمير المؤمنين إنك لم تقرأ . **قال** :

---

(١) ذكره البخارى كما فى « الفتح » (٣/ ٩٠) ، رواه ابن أبى شيبة فى « مصنفه » (٧٩٥١) وسنده صحيح كما قال الحافظ فى « تغليق التعليق » (٢/ ٤٤٨) .

(٢) رواه ابن أبى شيبة فى « مصنفه » (٧٩٥٠) (٢/ ١٨٦) ، وكذا فى التغليق » (٢/ ٤٤٨) .

حدثتنى نفسى وأنا فى الصلاة بعير جهزتها من المدينة حتى دخلت الشام [1] .

قال ابن حجر : قال المهلب : التفكير أمر غالب لا يمكن الاحتراز منه فى الصلاة ولا فى غيرها ، لما جُعل للشيطان من السبيل على الإنسان ، ولكن يفترق الحال فى ذلك ، فإن كان فى أمر فيجب أن يكون أخف ما يكون فى أمر الدنيا ، وقول عمر رضي الله عنه : إنى لأجهز الجيش وأنا فى صلاتى ، فالمراد به أقل شىء من الفكر فى أمر الدين ، وأما أن يتابع المرء التفكير فى أمر الدنيا ، ويُكثر من ذلك حتى لا يدرى كم صلى فهذا اللاهى فى صلاته [2] ، وحكى النووى وجهًا ضعيفًا فى أن الفكر وحديث النفس إذا كثر بطلت الصلاة [3] .

---

(١) عزاه إليه الحافظ فى « الفتح » (٣/ ٩٠) ، « والتغليق » (٢/ ٤٤٨) ، **وقال** : سنده حسن ، أخرجه صالح بن أحمد بن حنبل بسند حسن .

(٢) **انظر** : « فتح البارى » (٣/ ٩٠) .

(٣) **انظر** : « المجموع شرح المهذب » للنووى (٤/ ١١٤) .

مُقَدمَة ٱلمُصَنِّف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين والحمدُ للَّه ربِّ العالمين

الحمد لله جابر القلوب المنكسرة من أَجْله ، وغافر ذنوب المستغفرين بفضله ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، ولا شىء كمثله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وخَيَّرَهُ بين أن يكون مِلكًا نبيًا أو عبدًا رسولاً ، فاختار مقام العبودية مع الرسالة .

وكان يقول : « اللهمَّ أحينى مسكينًا (١) وأمتنى مسكينًا

---

(١) **المسكين** : قال ابن الأثير : تكرر فى الحديث ذكره ، **ومعناه** : الخضوع والذِّلة ، وقلة المال ، والحال السيئة . **واستكان** : إذا خضع ، والمراد به فى هذا =

واحشرنى فى زُمرة المساكين »[1] تنويهًا بشرف هذا المقام وفضله ، صلَّى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والمستمسِّكين بحبله وسلِّم تسليمًا . . وبعد :

فإنَّ الله سبحانه وتعالى مدح فى كتابه المخبتين له[2] والـمُنكسرين لعَظَمتِه الخاضعين والخاشعين لها ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[3] .

= الحديث التَّواضع والإخبات ، وأن لا يكون من الجبَّارين المتكبرين . كذا فى « النهاية » (٢/ ٣٨٥) .

(١) **مختلف فيه وهو حسن بطرقه** ، رواه الترمذىُّ كتاب الزهد (٢٣٥٢) وابن ماجه كتاب الزهد (٤٢١٦) ، وعبد بن حميد فى « منتخب المسند » (١٠٠٢) والبيهقى فى « السنن » (٧/ ١٢) والطبرانى فى « الدعاء » (١٤٢٦) ، والحاكم (٤/ ٣٢٢) ، وصححه وأقرَّه الذهبى ، وقد ضَعَّفَه جمع وحسنه السيوطى والعلائى بطرقه . **انظر** « اللآلئ » (٢/ ١٧٤) ، « المقاصد » (٨٥) ، « الفوائد المجموعة » (٢٤٠) .

(٢) **المُخْبِتين** : من أَخْبَتَ إذا خَشَعَ لله وتواضَعَ ، وأصله من (الخَبْتِ » وهو المكان المطمئن من الأرض ، **قال الطبرى وغيره** : المخبتين : الخاضعينَ لله بالطاعة ، المذعنينَ له بالعبودية ، وأخبت إلى ربِّه : اطمئن إليه . **انظر** : « اللسان » (٢/ ٢٧) ، « تفسير الطبرى » (١٧/ ١٧١) ، « تفسير البيضاوى » (١/ ٣١٧) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٠ .

وقال : ﴿ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[(١)] .

ووصف المؤمنين بالخشوع له فى أشرف عباداتهم التى عليها يحافظون فقال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾[(٢)] .

ووصف الذين أوتوا العلم بالخشوع ، حيث يكون كلامه مسموعًا ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾[(٣)] .

معنى الخشوع وتعريف السلف له

وأصل الخشوع هو : لينُ القلب ورقّتُه ، وسكونُه وخضوعه وانكسارهُ وحُرقته ، فإذا خشع القلب تبعه

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٥ .
(٢) سورة المؤمنون ، الآيتان : ١ ، ٢ .
(٣) سورة الإسراء ، الآيتان : ١٠٧ - ١٠٩ .

خشوع جميع الجوارح والأعضاء ؛ لأنها تابعة له ، كما قال صلَّى الله عليه وسلم : « أَلاَ إنَّ فى الجسدِ مُضْغَةٌ إذا صَلَحت صلح الجسدُ كلُّه ، وإذا فَسَدَت فَسَدَ الجسدُ كلُّه ألا وهى القلب » [1] .

فإذا خشع القلبُ خشع السمع والبصر والرأس والوجه وسائر الأعضاء ، وما ينشأ منها حتى الكلام .

ولهذا كان النبىُّ صلَّى الله عليه وسلم يقول فى ركوعه فى الصلاة : « خشع لك سمعى وبصرى ومُخِّى وعَظْمى » [2] وفى رواية « وما استقل به قَدَمى » [3] .

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخارى كتاب البيوع (٢٠٥١) ، ومسلم كتاب المساقاة (١٠٧/ ١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .

(٢) **صحيح** : رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين (٢٠١/ ٧٧١) ، والترمذى كتاب أبواب الدعوات (٣٤١٧) ، وأبو داود كتاب الصلاة (٧٦٠) ، والنسائى (٨٩٨) (٣/ ١٣٠) ، والدارمى كتاب الصلاة (١٢٣٨) عن على رضي الله عنه .

(٣) **صحيح** : رواه أحمد فى مسنده (١/ ١١٩) ، والدارقطنى فى « السنن » (١/ ٣٤٢) ، وابن خزيمة كتاب الصلاة (٦٠٧) ، والطحاوى فى « معانى الآثار » (١/ ٢٣٣) ، وصححه ابن خزيمة **وقال الدارقطنى** : حسن صحيح .

ورأى بعض السَّلف [1] رجلاً يعبث بيده فى الصلاة فقال : لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ، وروى ذلك عن حـذيفة [2] رضى الله عنه وسعيد بن المسيب [3] ، ويروى مرفوعًا [4] لكن بإسناد لا يصحّ .

---

(١) ثبت ذلك عن سعيد بن المسيّب : رواه عبدالرزاق (٢/ ٢٦٦ - ٣٣٠٨ ، ٣٣٠٩) ، وابن أبى شيبة فى « مصنفه » (٢/ ٨٦ - رقم ٦٧٨٧) ، وابن المبارك فى « الزهد » (١١٨٨) ، وابن نصر المروزى فى تعظيم الصلاة (١٥١) وعزاه ابن تيمية فى « مجموع الفتاوى » (١٨/ ٢٧٣) إلى عمر بن الخطاب ﷺ .

(٢) **حذيفة بن اليمان العبسى** ، صحابى جليل صاحب سر رسول الله ﷺ فى المنافقين ، توفى بالمدائن سنة ٣٥هـ . **انظر** : « أسد الغابة » (١/ ٣٩٠) ، « تجريد أسماء الصحابة » (١/ ١٢٥) ، وأثر حذيفة : رواه المروزى فى « تعظيم الصلاة » (١٥٠) أنه رأى رجلاً يصلى يعبث بلحيته ، فقال : « لو خشع قلب هذا سكنت جوارحه » .

(٣) **سعيد بن المسيب بن حزن** ، الفقيه المدنى ، من كبار أئمة التابعين الزُّهاد ممن حملوا الحديث ، والفقه ، توفى سنة ٩٤هـ .

انظر : « التهذيب » (٤/ ٨٤) ، « التقريب » (١/ ٣٠٥) .

(٤) **لا يصحّ** : رواه الحكيم الترمذىُّ فى « نوادر الأصول » عن أبى هريرة ﷺ كما فى « الدر المنثور » (٦/ ٨٥) ، و« الكنز » (٥٨٩١) وجزم بضعفه العراقى ، والأنصارى ، والألوسى . **انظر** : « المغنى » للعراقى (١/ ١٥١) ، « روح المعانى » (١١/ ٢٣) ، و« الإرواء » (٢/ ٩٣) .

قال المسعودى [1] عن أبى سنان [2] عمن حدّثه عن علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [3] قال : الخشوع فى القلب وأن تلين كَنَفَك [4] للمرء المسلم ، وأن لا تلتفت فى صلاتك [5] .

---

(١) **المسعودى** : عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفى ، تابعى جليل ، محدث اختلط بآخره ، توفى سنة ٦٥هـ .

انظر : « التهذيب » (٦/ ٢١٠) ، « التقريب » (١/ ٤٨٧) .

(٢) **أبو سنان** : هو يزيد بن أمية أبو سِنَان الدؤلى المدنى ، روى عن على ، وابن عباس رضى الله عنهم ، وثقه أبو زرعة ، وأبو حاتم ، وابن حبان ، توفى ما بين ٨٠هـ - ٩٠هـ .

انظر : « التهذيب » (٦/ ١٩٨) ، « التقريب » (٢/ ٣٧٣) .

(٣) سورة المؤمنون ، الآية ٢ .

(٤) **كَنَفَه** : حَاطَهُ وصانه وأعانه ، والكَنَف الجانب ، والمعنى أن يكون لين الجانب لأخيه المسلم إذا وقف بجواره فى الصلاة .

انظر : « القاموس » (٤/ ٨٩ - ٩٠) « مختار الصحاح » ص ٥٨١ .

(٥) رواه ابن المبارك فى « الزهد » (١١٤٨) ، والطبرى فى « تفسيره » (١٨/ ٢) والحاكم (٢/ ٣٩٣) ، ومحمد بن نصر فى « تعظيم قدر الصلاة » (١٣٩) ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » كتاب الصلاة (٢/ ٢٧٩) ، وذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٦/ ٨٤) ، وصحّحه الحاكم وأقره الذهبى .

وقال عطاء بن السائب [1] عن رجل عن على رضى الله عنه : الخشوع خشوع القلب ، وأن لا تلتفت يمينًا ولا شمالاً [2] .

وقال علىُ بن أبى طلحة [3] عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [4] قال : خائفون ساكنون [5] .

---

(١) **عطاء بن السائب بن مالك الثقفى الكوفى** ، قال أحمد : ثقة ، صالح ، من خيار عباد الله ، **وقال النسائى** : ثقة اختلط بآخره ، توفى سنة ١٣٦هـ .
انظر : « طبقات ابن سعد » (٦/ ٣٣٨) ، « سير أعلام النبلاء » (٦/ ١١٠) ، « الميزان » (٣/ ٧٠) .

(٢) ذكره القرطبى فى « تفسيره » (١/ ٣٧٥) ، وابن كثير فى « تفسيره » (٣/ ٢٣٩) .

(٣) **على بن أبى طلحة** ، مولى بنى هاشم ، أبو الحسن ، تابعى جليل ، مفسر ، روى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما ، صدوق قد يُخطئ ، توفى سنة ٤٣هـ . **انظر** : « التهذيب » (٧/ ٣٣٩) ، « التقريب » (٢/ ٣٩) ، « الكاشف » (٢/ ٢٥٠) .

(٤) سورة المؤمنون ، الآية : ٢ .

(٥) رواه الطبرى فى « تفسيره » (١٨/ ٢٣) وذكره ابن كثير (٣/ ٢٣٩) وعزاه فى « الدر المنثور » (٦/ ٨٦) إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم ، وابن جرير وكذا الشوكانى فى « فتح القدير » (٣/ ٤٧٥) .

وقال ابن شوذب [1] عن الحسن [2] رحمه الله تعالى : كان الخشوع فى قلوبهم فغضُّوا له البصر فى الصلاة [3] .

وقال ابن أبى نجيح [4] عن مجاهد [5] رحمه الله تعالى فى

---

(١) **عبد اللّه بن شوذب الخراسانى ، أبو عبد الرحمن** ، تابعى ثقة ، محدث عابد ، وثقه أحمد والنسائى وأبو حاتم ، توفى سنة ١٥٧هـ . **انظر** : « التهذيب » (٣/ ١٦٧) ، « شذرات الذهب » (١/ ٢٤٠) .

(٢) **الحسن بن أبى الحسن البصرى ، أبو سعيد** ، التابعى ، الفقيه ، العابد ، أدرك جمعًا من الصحابة وتوفى سنة ١١٠هـ . **انظر** : « سير النبلاء » (٤/ ٥٦٣) « تذكرة الحُفاظ » (١/ ٦٦) ، « شذرات الذهب » (١/ ١١٠٦) .

(٣) رواه الطبرىُّ فى « تفسيره » (ج ١٨/ ٢) ، وابن أبى حاتم فى « تفسيره » كما فى « الدر المنثور » (٦/ ٨٤) وللأثر عندهم بقية : « وخفضوا لذلك الجناح » .

(٤) **عبد اللّه بن أبى نجيح المكّى** ، المفسّر صاحب مجاهد ، يكنى أبا يسار **قال الذهبى** : تابعى ثقة ، توفى سنة ١٣١هـ . **انظر** : « طبقات المفسرين » (١/ ١٦) « شذرات الذهب » (١/ ١٨٢) ، « معرفة القراء الكبار » (١/ ١٢٩) .

(٥) **مُجاهد بن جَبْر أبو الحجاج المكّى** المخْزُومىّ ، التابعى الجليل أخذ التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وكان أعلم التابعين بكتاب الله ، توفى سنة ١٠٤هـ وهو ساجد . **انظر** : « الحلية » (٣/ ٢٧٩) ، « طبقات ابن سعد » (٥/ ٤٦٦) ، « تهذيب الأسماء » (٢/ ٨٣) .

قوله ﴿ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[1] قال : متواضعين[2] .

وقد وصف الله تعالى فى كتابه الأرض بالخشوع فقال : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾[3] فاهتزازها وربُوها وهو ارتفاعها ، مُزيلٌ لخشوعها ، فَدَلَّ على أن الخشوع الذى كانت عليه هو سكونُها وانخفاضُها فكذلك القلب إذا خشع فإنه يسكن خواطرهُ وإرداته الرديئة التى تنشأ من اتِّباع الهوى وينكسرُ وينخضع لله فيزول بذلك ما كان فيه من التعاظم والترفُّع والتكبُّر ، ومتى سكن ذلك فى القلب خشعت الأعضاء والجوارح والحركات كلها حتى الصوت .

وقد وصف الله تعالى الأصوات بالخشوع فى قوله

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٠ .

(٢) رواه عبد بن حميد ، وابن أبى حاتم ، وابن المنذر كما فى « الدر المنثور » (٥/ ٦٧٠) ، و« تفسير ابن كثير » (٣/ ١٩٤) ، ورواه ابن المبارك فى « الزهد » (١٦٩) ، والطبرى (١٨/ ٢) عن مجاهد فى قوله « خاشعون » هو : السكون فى الصلاة .

(٣) سورة فُصِّلت ، الآية : ٣٩ .

﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾[1] فخشوع الأصوات هو سكونها وانخفاضها بعد ارتفاعها ، وكذلك وصف وجوه الكفار وأبصارهم يوم القيامة بالخشوع[2] فدلّ ذلك على دخول الخشوع فى هذه الأعضاء كلها .

خشوع النفاق

ومتى تكلف الإنسان تعاطى الخشوع فى جوارحه وأطرافه مع فراغ قلبه من الخشوع وخُلُوّه منه كان ذلك خشوع نفاق ، وهو الذى كان السلف يستعيذون منه ، كما **قال بعضهم** : استعيذوا بالله من خشوع النفاق ، قالوا : وما خشوع النفاق ؟ **قال** : أن ترى الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع[3] .

---

(١) سورة طه ، الآية : ١٠٨ .

(٢) يقصد قوله تعالى فى الكفَّار عندما يرون العذاب فى الآخرة : ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ﴾ (الشورى : ٤٥) .

(٣) رواه ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٧/ ٢٤٣ - رقم ٣٥٧١) ، وأحمد فى « الزهد » ص ١٣٥ ، وابن المبارك كما فى « الدر المنثور » (٦/ ٨٤) عن =

ونظر عمر رضى الله عنه إلى شابٍّ قد نكَّس رأسه فقال له : يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب [1] .

فمن أظهر خشوعًا غير ما فى قلبه ، فإنما هو نفاق على نفاق .

وأصل الخشوع الحاصل فى القلب إنما هو من معرفة الله ، ومعرفة عظمته وجلاله وكماله ، فمن كان بالله أعرف فهو له أخشعُ .

مراتب الخشوع وتفاوتها

ويتفاوت الخشوع فى القلوب بِحَسْبِ تفاوُتِ معرفتها لمن خَشَعْتَ له وبحسب تفاوت مُشاهَدَة القلوب للصفاتِ المقتضية للخشوع .

= أبى الدرداء ﷺ ، روى مرفوعًا عن أبى بكر ﷺ عند البيهقى فى « الشعب » بسند لا يصح كما فى « كنز العمال » (٢٠٠٨٩) .

(١) ذكره القرطبىُ فى « تفسيره » (١/ ٣٧٥) .

فمن خَاشع لقوّة مطالعته لقُرْب الله من عبده واطّلاعه على سرِّه وضميره المقتضى للاسْتحياء من الله تعالى ومُراقبته فى الحركات والسَّكنات .

ومن خَاشِع لمطالعته لكماله وجماله المقتضى للاسْتغراق فى محبته والشَّوْق إلى لقائه ورؤيته .

ومن خاشع لمطالعته شدّةَ بَطْشِهِ وانتقامه ، وعقابه المقتضى للخوف منه ، وهو سُبحانه وتعالى جابرُ المنكسرة قلوبهم من أجله ، وهو سُبحانه وتعالى يتقرَّب ممن يُناجيه فى الصلاة ، ويُعَفِّر وجهه فى التراب بالسُّجود ، كما يتقرب من عبادِهِ الدَّاعين له ، السَّائلين له ، المستغفرين من ذنوبهم بالأسْحار ، ويُجيب دعاءهم ، ويُعطيهم سُؤْلهم ، ولا جبر لانكسار العبد أعظم من القُرْب والإجابة .

روى الإمام أحمد [1] رحمه الله تعالى فى كتاب « الزهد »

---

(١) **أحمد بن محمد بن حنبل** ، أحد الأئمة الأربعة ، ولد سنة ١٦٤هـ . **قال إبراهيم الحربى** : كأن الله قد جمع له علم الأوَّلين من كل صنف ، وكان يحفظ ألف ألف حديث ، توفى سنة ٢٤١هـ . **انظر** : « المنهج الأحمد » (١/ ٤٤) « تهذيب الكمال » (١/ ٤٣٧) ، « طبقات الحنابلة » (١/ ٤ - ٢٠) .

بإسناده عن عمران القصير [1] **قال** : « قال موسى عليه السلام : أى رب أين أبغيك ؟ **قال** : أبغنى عند المنكسرة قلُوبُهم من أَجْلى ، إنى أدنو منهم كل يوم باعًا [2] فلولا ذلك لانهدموا » [3] .

وروى إبراهيم بن الجُنيد [4] - رحمه الله تعالى - فى

---

(١) **عمران بن مسلم القصير** ، تابعى عابد زاهد ، يَرْوى عن أنس ﷺ ، **قال القطان** : لم يكن به بأس ، وقد روى عن كبار التابعين كالحسن ، وابن سيرين ، والعطاردى . **انظر** « صفة الصفوة » (٣/ ٢١١) « تهذيب التهذيب » (٤/ ٤٠٨) .

(٢) **البَاعُ** : مسافة ما بين الكفَّيْن إذا انبسطت الذِّرعان يمينًا وشمالاً ، **والجمع** : **أبواعٌ** ، **ويُقال** : هو طويل الباع فى كذا ، بلغ الغاية فيه .
انظر : « القاموس » (١/ ٣٤٢) ، « المعجم الوجيز » ص ٦٧ .

(٣) رواه الإمام أحمد فى كتاب « الزهد » ص ٧١ ، روى ابن أبى الدنيا فى « الهم والحزن » ص ٥٦ نحوه عن نبىِّ الله داود قال : أى رب أين ألقاك ؟ قال : تلقانى عند المنكسرة قلوبهم .

(٤) **إبراهيم بن عبد اللَّه بن الجُنيد الختلى (أبو إسحاق)** مُحَدِّث ، حافظ سأل يحيى بن معين عن الرجال ، وصنَّف وجمع ، له : الزهد ، المحبة ، الخوف ، الورع ، توفى سنة ٢٦٠هـ . **انظر** : « سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٦٣١) ، « تذكرة الحُفاظ » (٢/ ٥٨٦) .

« كتاب المحبَّة » عن جعفر بن سُليمان [1] سمعت مالك ابن دينار [2] **قال** : « قال موسى عليه السلام : إلهى أين أبغيك ؟ فأوحى الله تعالى إليه أن يا موسى أبغِنى عند المُنْكَسِرة قلوبهم من أجلى ، فإنى أدنو منهم فى كل يوم باعًا ، ولولا ذلك لانهدموا » .

قال جعفر : فقلت لمالك بن دينار : كيف المنكسرة قلوبهم ؟ **فقال** : سألت الذى أقرأنى الكتاب فقال : سألت الذى سأل عبد الله بن سلام [3] عن المنكسرة قلوبهم بِمَ

---

(١) **جعفر بن سليمان الضبعى** ، البصرى أبو سليمان ، تابعى زاهد ، **قال أحمد** : لا بأس به ، وهو حسن الحديث ، توفى سنة ١٧٨هـ ، « التهذيب » (١/ ٣٨١ - ٣٨٢) ، « التقريب » (١/ ١٣١) .

(٢) **مالك بن دينار أبو يحيى البصرى** ، الزاهد المشهور ، التابعى الجليل ، كان لا يأكل إلا من عمل يده ، وكان أبوه من سبى سجستان ، توفى سنة ١٢٧هـ . **انظر** : « شذرات الذهب » (١/ ١٧٣) ، « ميزان الاعتدال » (٣/ ٣) ، « صفة الصفوة » (٣/ ١٨٤) .

(٣) **عبد الله بن سلام بن الحارث الخزرجى** ، الصحابى الجليل ، كان من كبار أحبار اليهود ، ثم أسلم ، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، وسماه عبد الله ، وكان اسمه الحُصين . **انظر** : « التجريد » (١/ ٣١٥) ، « أُسْد الغابة » (٣/ ١٧٦) ، « الإصابة » (٢/ ٣٢٠) .

تنكسر ؟ **قال** : المنكسرة قلوبهم بحبِّ الله عز وجل .

الانكسار يقتضى القرب من اللَّه

وقد جاء فى السُّنَّة الصحيحة ما يشهد بقرب الله من القلب المنكسر ببلائه ، الصابر على قضائه ، والراضى بذلك لما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة [1] رضى الله عنه عن النبىِّ صلَّى الله عليه وسلم يقول اللَّهُ عزَّ وجَلَّ يوم القيامة : « يا ابن آدم مرضتُ فلم تَعُدْنِى ، قال : ربِّ كيف أَعُودُكَ وأنت ربُّ العالمين؟ قال : أما علمْتَ أنَّ عبدى فُلانًا مرض فلم تَعُدْهُ [2] أما علمت أنَّك لو عدته

(١) **عبد الرحمن بن صخر الدوسى** ، **أبو هريرة** ، الصحابى الجليل ، أكثر الصحابة حِفْظًا للحديث ، أسلم سنة ٧هـ ، روى ٥٣٧٤ حديثًا ، وتوفى سنة ٥٩هـ . **انظر** : « الإصابة » (٤/ ٢٠٢) ، « أسد الغابة » (٥/ ٣١٥) .

(٢) **قال الإمام النووى** فى معنى هذا الحديث : قال العلماء : إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى ، والمراد العبد ؛ تشريفًا للعبد ، وتقريبًا له ، **قالوا** : ومعنى (وجدتنى عنده) أى وجدت ثوابى وكرامتى ، ويدلُّ عليه قوله تعالى فى تمام الحديث « لو أطعمته لوجدت ذلك عندى » أى ثوابه .

انظر : « شرح مسلم » للنووى (١٦/ ١٢٦) .

لوجدتنى عنده »[1] .

وروى أبو نعيم[2] من طريق حمزة[3] عن ابن شوذب[4] **قال** : « أوحى الله تعالى إلى موسى أتدرى لأى شىء اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ؟ **قال** : لا يا رب ، **قال** : لأنه لم يتواضع لى أحد قطُّ تواضعك »[5] .

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم كتاب البر (٢٥٦٩) ، والبخارى فى « الأدب المفرد » (٥١٧) ، وابن حبان « الإحسان » (٢٧٣٦٦) ، وابن راهويه فى « مسنده » (١/ ١١٦) ، عن أبى هريرة ﷺ .

(٢) **أحمد بن عبد الله بن إسحاق الأصبهانى ، أبو نعيم** ، الإمام الحافظ ، الثقة ، **قال ابن مردويه** : لم يكن فى الآفاق أحفظ ولا أسند منه ، له « الحلية » « الدلائل » ، « صفة الجنة » توفى سنة ٤٣٠هـ . **انظر** : « وفيات الأعيان » (١/ ٩١) ، « طبقات السبكى (٤/ ١٨) ، « شذرات الذهب » (٣/ ٢٤٥) .

(٣) كذا فى الأصل ، وصوابه : ضمرة بن ربيعة كما فى « الحلية » (٦/ ١٣٠) وهو : **ضمرة بن ربيعة الفلسطينى أبو عبد الله الرملى** قال ابن سعد : كان ثقة مأمونًا فقيهًا ، توفى سنة ٢٠٢هـ .

انظر : « التهذيب » (٢/ ٥٧٧) ، « معرفة الثقات » (١/ ٤٧٣) .

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) رواه أبو نعيم فى « الحلية » (٦/ ١٣٠) فى (٣٥٣) ترجمة عبد الله بن شوذب .

وتواضعه هو هذا الخشوع ، وهو العلم النافع ، وهو أول ما يرفع من العلم .

أولُ ما يرفع الخشوع

فخرَّج النسائى من حديث جُبَير بن نفير [(١)] رضى الله عنه عن عَوْف بن مالك [(٢)] رضى الله عنه أن رسول الله عليه وسلم نظر إلى السماء يومًا فقال : « هذا أوان يرفع فيه العلم » فقال رجل من الأنصار يُقالُ له زياد بن لَبِيد [(٣)] :

---

(١) **جُبير بن نُفير بن مالك بن عامر الحضرمى** ، قال أبو حاتم : ثقة من كبار تابعى أهل الشام ، أدرك زمن النبى ﷺ ، وروى عنه ، توفى سنة ٧٥هـ ، **وقيل** : ٨٠هـ . **انظر** « التهذيب » (١/ ٣٦٣) ، « الجرح » (٢/ ٥١٢) ، « الجمع » (١/ ٧٧) .

(٢) **عوف بن مالك الأشجعى** رضي الله عنه من بنى أشجع **أبو حماد** صحابى جليل نزل الشام ، وتوفى سنة ٧٣هـ فى أول ولاية عبد الملك ، روى عنه جبير بن نفير رضي الله عنه وغيره . **انظر** : « الإصابة » (٣/ ٤٣) ، « أسد الغابة » (٤/ ١٥٦) ، « التجريد » (١/ ٤٢٩) .

(٣) **زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن بياضة الأنصارى البياضى** رضي الله عنه شهد بدرًا والمشاهد كلها ، واستعمله الرسول ﷺ على حضرموت ، توفى فى خلافة معاوية .
انظر : ترجمته فى « معجم الصحابة » (٣/ ٣٤٨) ، « الإصابة » (٢/ ٥٨٦) ، « المقتنى » (١/ ٣٤٨) .

يا رسول الله أَوَ يُرْفَعُ العلم وقد أُثبت وَوعَتْهُ القُلوبُ ؟ فقال له رسول الله صلَّ الله عليه وسلم : « إن كنتُ لأحسبك من أفقه أهل المدينة » .

وذَكَرَ ضلال اليهود والنصارى على ما فى أيديهم من كتاب الله عزَّ وجلَّ ، قال : فلقيت شدَّاد بن أوس [1] فحدَّثته بحديث عوف بن مالك **فقال** : صدق عوف ألا أُخبرك بأول ذلك يرفع ؟ **قلت** : بلى ، **قال** : الخشوع حتى لا ترى خاشعًا [2] .

وخرَّجه الترمذى [3] من حديث جُبَيْر بن نفير عن أبى

---

(١) **شداد بن أوس بن ثابت الخزرجى الأنصارى** رضي الله عنه صحابى جليل ، كنيته **أبو يعلى** ، نزل بيت المقدس من الشام ، وبها توفى سنة ٦٤هـ . **انظر** : « أسد الغابة » (٢/ ٣٨٧) ، « الإصابة » (٢/ ٩) ، « التجريد » (١/ ٢٥٣) .

(٢) **صحيح** : رواه النسائى فى « الكبرى » كما فى « تحفة الأشراف » (٨/ ٢١١) ، وأحمد (٦/ ٢٦) ، والدارمى (١/ ٩٩) ، وابن ماجه (٤٠٤٨) ، والطبرانى فى « الكبير » (١٨/ ٤٣) ، وابن حبان (موارد : ١١٥) ، والحاكم (١/ ٩٩) وصححاه وكذا الذهبىُّ .

(٣) رواه الترمذى كتاب العلم (٢٦٥٥) ، وأبو نعيم فى « الحلية » (٥/ ١٣٨) ، الطبرانى فى « مسند الشاميين » (١/ ٥٥) ، وحسَّنه الترمذى وله شواهد يصحُّ بها . **انظر** : « الإصابة » (٢/ ٥٨٦) ، « تحفة الأشراف » (٨/ ٢١١) .

الدرداء : وأخبرتُه بالذى قال ، **فقال** : صدق أبو الدرداء لو شئت لحدَّثتك بأول علم يُرفع من الناس : الخشوع ، يوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه رجلاً خاشعًا ، وقد **قيل** : إن رواية النسائى أرجح(١) .

وروى سعيد بن بشير(٢) عن الحسن رحمه الله تعالى عن شدّاد بن أوس عن النبىِّ صلَّى الله عليه وسلم قال : «أوَّلُ ما يرفعُ من الناس الخشوع» فذكره(٣) ورواه

---

(١) وذلك لأنَّ فى رواية الترمذى معاوية بن صالح ، وهو صدوق مُتَكَلَّم فى حفظه ، ولكن الروايات تُقَوِّى بعضها بعضًا لاتفاقها فى المعنى .
انظر : «الإصابة» (٢/ ٥٨٦) والمصادر السابقة .

(٢) **سعيد بن بشير الأزدى البصرى** مولاهم أبو عبد الرحمن ، وثقه شعبة ، ودحيم ، وتكلم فيه أحمد ، وابن معين ، **قال الحافظ** : ضعيف ، توفى سنة ٦٨هـ أو ٦٩هـ . **انظر** : «التهذيب» (٢/ ٢٩١) ، «التقريب» (١/ ٢٩٢) .

(٣) **حسنٌ بشواهده** : رواه الطبرانى فى «الكبير» (٧/ ٢٩٥ - رقم ٧١٨٣) ، وفى «مسند الشاميين» (٤/ ٢٧) عن شداد مرفوعًا ، وله شاهد عنده عن أبى الدرداء ﷺ بلفظ فى «مسند الشاميين» (٢/ ٤٠١) ، وفى سنده فرج بن فُضالة ، وفيه ضَعْفٌ ، رواه موقوفًا على شداد أبو نعيم فى «الحلية» (٥/ ٢٤٧) ، وابن حبان فى صحيحه موقوفًا . قال المنذرى فى «الترغيب» (١/ ٢٠٤) : سنده حسن .

أبو بكر بن أبى مريم[1] عن حمزة بن حبيب[2] مرسلاً .

وروى نحوه عن حذيفة[3] من قوله .

★ ★ ★

---

(١) **أبو بكر بن عبد الله بن أبى مريم الغسانى** ، ضعيف مختلط عند الجمهور توفى سنة ١٥٦هـ ، وكان من العُبَّاد المجتهدين الزُّهاد .
انظر : « التهذيب » (٦/ ٣٠٥) ، « التقريب » (٢/ ٣٩٨) .

(٢) كذا فى الأصل ، وهو خطأ وصوابه : **ضمرة بن حبيب*** كما فى « الزهد » لابن المبارك (رقم ١٧٣) ولفظه قال ابن المبارك : أخبرنا أبو بكر عن ضمرة بن حبيب أن رسول الله ﷺ قال : « إن أول شىء يرفع من هذه الأُمَّة الأمانة والخشوع حتى لا تكاد ترى خاشعًا » .

* **ضمرة بن حبيب بن صهيب الزبيدى** ، تابعى شامى ثقة يروى عن جمع من الصحابة ، وثقه أحمد ، وابن معين ، وابن سعد كما فى « التهذيب » (٣/ ٥٧٦) ، أما **حمزة بن حبيب** فهو أبو عمارة الزيات ، الإمام المقرئ شيخ القُرَّاءِ كما فى « تاريخ البخارى » (٣/ ٥٢) ، « معرفة الثقات » (١/ ٣٢٢) .

(٣) **صحيح** : رواه ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٣٤٨٠٨) ، وابن أبى عاصم فى « الزهد » ص ١٧٩ ، وأبو عمرو الدانى فى « السنن » (٣/ ٥٣٤) ، والحاكم (٤/ ٤٦٩) وصححه وأقره الذهبى عن حذيفة رضي الله عنه موقوفًا .

صفة العلم النافع

فالعلم النافع هو ما باشر القلوب فأوجب لها السكينة والخشية والإخْبات لله والتواضع والانْكسار ، وإذا لم يُباشر القلب ذلك من العلم وإنما كان على اللِّسان فهو حُجة الله على ابن آدم يقوم على صاحبه وغيره ، كما قال ابن مسعود [١] رضى الله عنه : إنَّ أقوامًا يقرأون القُرآن لا يُجاوز تراقيهم ، ولكن إذا وقع فى القلب فرسخ فيه نفع صاحبه [٢] .

علم اللسان وعلم القلب

وقال الحسن رحمه الله تعالى : العلم عِلْمَان : علم

---

(١) عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه أبو عبد الرحمن الهذلى ، من كبار الصحابة ممن حملوا كتاب الله وسُنة نبيه ﷺ ، توفى سنة ٣٢هـ . انظر : « طبقات القراء » (١/ ٤٥٨) ، « تهذيب الأسماء » (١/ ٢٨٨) .

(٢) أثر صحيح : رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين (٧٢٢) ، وابن خزيمة (٥٣٨) ، وعبدالرزاق (٨٧٢٧) ، وأبو يعلى (٥٢٢٢) ، والبيهقى فى « السنن » (٣/ ٩ - ٤٤٦٤) .

باللِّسان ، وعلم بالقلب ، فعلم القلب هو : العلم النافع ، وعلم اللِّسان حُجَّة الله على ابن آدم[1] .

وروى مرسلاً عن الحسن رحمه الله تعالى عن النبىِّ صلَّى الله عليه وسلم[2] ، وروى عنه عن جابر[3] رضى الله عنه مرفوعًا[4] ، وعنه عن أنس[5] رضى الله عنه

---

(١) رواه الدارمى فى « السنن » (١/ ١١٤) ، وذكره عنه المؤلف فى « جامع العلوم والحِكَم » ص ٣٤٣ ، ورواه البيهقىُّ فى « الشعب » (٢/ ٢٩٤) عن الفُضَيل بن عياض من قوله .

(٢) **ضعيف** : رواه ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٧/ ٨٢ - ٣٤٣٦١) وابن عبد البر فى « جامع العلم » (١/ ١٩٠) وكذا الحكيم الترمذى فى « نوادر الأصول » (٢/ ٣٠٣) ، والديلمى فى « فردوس الخطاب » (٣/ ٦٨) وهو ضعيف لإرساله .

(٣) **جابر** رضي الله عنه هو : **ابن عبد اللَّه بن عمرو بن حرام الأنصارى** ، صاحب رسول الله ﷺ ، الفقيه ، المدنى من أهل بيعة الرضوان ، كان مفتى المدينة فى زمانه ، توفى سنة ٧٩هـ . **انظر** « تهذيب الكمال » (٤/ ٤٤٣) ، « رجال البخارى » (١/ ١٤١) .

(٤) **ضعيف** : رواه الخطيب فى « تاريخه (٤/ ٣٤٦) ، ابن الجوزى فى « العلل المتناهية » (١/ ٨٢) **وقال** : لا يصحُّ إسناده .

(٥) **أنس بن مالك** بن **النضر** رضي الله عنه ، الصحابىُّ الجليل ، راوية الإسلام ، خادم رسول الله ﷺ روى عنه ٢٢٨٦ حديثًا ، توفى سنة ٩٣هـ . **انظر** : « حلية الأولياء » (١/ ١٢١) ، « تهذيب الكمال » (٣/ ٣٥٣) ، « صفة الصفوة » (١/ ٦٢٣) .

مرفوعًا[١] ولا يصحُّ وصله .

فأخبر النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم [٢] أنَّ العلم الذى عند أهل الكتابين من قبلنا موجود بأيديهم ولا ينتفعون بشىء منه لما فقدوا المقصود منه ، وهو وصوله إلى قلوبهم حتى يجدوا حلاوة الإيمان به ومنفعته بحصول الخشية والإنابة لقلوبهم ، وإنما هو على ألسنتهم تُقام به الحُجةُ عليهم .

وصف العلماء بالخشية

ولهذا المعنى وصف اللَّهُ سبحانه فى كتابه العلماء بالخشية ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [٣] وقال : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا

(١) **ضعيف** : رواه أبو نعيم فى « أخبار أصبهان » (٤/ ١٠١) وعزاه فى الكنز إليه (٢٨٩٤٦) ، ورواه ابن الجوزى فى « العلل المتناهية » (١/ ٨٣) **وقال** : لا يصحُّ ، فيه يوسف بن عطية وهو ضعيف ، **وانظر** : «فيض القدير »(٤/ ٣٩١) .

(٢) فى حديث عوف بن مالك رضي الله عنه الذى سبق ذكر المؤلف له .

(٣) سورة فاطر ، الآية : ٢٨ .

وَقَآئِمًا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾ [1] .

ووصف العلماء من أهل الكتاب قبلنا بالخشوع ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ﴾ [2] .

وقوله تعالى فى وصف هؤلاء الذين أوتوا العلم ويخرُّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا مدحٌ لمن أوجب له سماع كتاب الله الخشوع فى قلبه ، وقال تعالى : ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ (٢٢) ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ [3] .

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٩ .
(٢) سورة الإسراء ، الآيات : ١٠٧ - ١٠٩ .
(٣) سورة الزمر ، الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .

ولين القلوب هو زوال قساوتها لحدوث الخشوع فيها والرقة ، وقد قبَّح الله من لا يخشع قلبه لسماع كتاب الله وتدبره ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ ﴾[1] الآية .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : « ما كان بين إسلامنا وبين أن عُوتبنا بهذه الآية إلاَّ أربع سنين » ، خرَّجه مسلم[2] ، وخرَّجه النسائى[3] وزاد فيه : « فجعل المؤمنون يُعاتب بعضهم بعضًا » وخرَّج ابن ماجه من حديث الزبير[4] رضى الله عنه قال : « لم يكن بين إسلامهم وبين

---

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٦ .

(٢) رواه مسلم كتاب التفسير (٤/ ٢٣١٩ - رقم ٣٠٢٧) ، وأبو يعلى فى « مسنده » (٩/ ١٦٧ - ٥٢٥٦) .

(٣) فى « السنن الكبرى » له (٦/ ٤٨١ - ١١٥٦٨) ، وفى « المصنف » لابن أبى شيبة (٧/ ٢٤٤ - ٣٥٣٧١) عن أبى روَّادٍ : أن أصحاب النبى ﷺ ظهر فيهم الضحك والمزاح فأنزل الله الآية .

(٤) **الزبير بن العوام بن خويلد القرشى** ، حوارى الرسول ﷺ ، الصحابى الجليل ، وابن عمته ، استشهد بسفران من ناحية البصرة بالعراق سنة ٣٦هـ . **انظر** : « الإصابة » (١/ ٥٤٥) ، « أسد الغابة » (٢/ ١٩٦) .

أن نزلت هذه الآية يُعاتبهم الله بها إلاَّ أربع سنين »[1] .

تأثير القرآن على العُبَّادِ والصالحين

وقد سمع كثير من الصَّالحين هذه الآية تُتْلى فأَثَّرت فيهم آثارًا متعددة فمنهم من مات[2] عند ذلك لانْصداع قلبه بها ، ومنهم من تاب عند ذلك ، وخرَج عمَّا فيه[3] ،

---

(١) **صحيح** : رواه ابن ماجه كتاب الزهد (٤١٩٢) ، **وقال البوصيرى** فى « مصباح الزجاجة » (٣/ ٢٩٠) : إسناده صحيح ، رجاله ثقات .

(٢) وقد ذكر الحافظ ابن رجب طَرَفًا من ذلك فى كتابه « التخويف من النار » ص ٢٢ - ٢٦ : فمن ذلك حديث عبد الرحمن بن مصعب أن رجلاً كان يومًا على شط الفرات ، فسمع قارئًا يتلو قوله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ فتمايل ، فلما قال التالى ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ (الزخرف - ٧٤ ، ٧٥) سقط مغشيًا عليه فى الماء فمات ، ونحو ذلك كثيرٌ .

(٣) إشارة منه - رحمه الله - إلى ما ذكرته كتب الطبقات عن سبب توبة الإمام الجليل : الفضيل بن عياض أحد زُهاد التابعين ، فقد كان قبل ذلك من اللصوص الذين يقطعون الطريق على الناس فبينما هو ذات يوم يرتقى الجدران سمع تاليًا يتلو ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (الحديد : ١٦) **فقال الفضيل** : « بلى ! والله يا ربِّ قد آن فرجع عما فيه وأقبل على العبادة والعلم حتى صار إمام التابعين » . **انظر** : هذه القصة بطولها فى « الرسالة القشيرية » (١/ ٧٢) ، « طبقات الأولياء » لابن الملقن ص ٢٦٦ .

وقد ذكرنا أخبارهم فى كتاب « الاسْتغناء بالقرآن »[1] .

وقال تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾[2] الآية ، وقال أبو عِمْران الجَوْنىّ[3] : والله لقد صرف إلينا ربُّنا فى هذا القرآن ما لو صرفه إلى الجبال لمحاها ودحاها[4] .

وكان مالك بن دينار - رحمه الله تعالى - يقرأ هذه الآية ثم **يقول** : أُقسم لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا صُدِعَ[5]

---

(١) ذكره إسماعيل باشا فى « هدية العارفين » (١/ ٥٢٧) .

(٢) سورة الحشر ، الآية : ٢١ .

(٣) **أبو عمران عبد الملك بن حبيب الجونى** ، تابعى زَهَّاد ، من كبار العُبَّاد العارفين ، من أهل البصرة ، توفى سنة ١٢٨هـ ، وأدرك جمعًا من الصحابة . **انظر** : « شذرات الذهب » (١/ ١٧٥) ، « صفة الصفوة » (٣/ ١٧٨) .

(٤) رواه عنه أبو نعيم فى « الحلية » (٢/ ٣١١) ، **وقوله** : دحاها : من دَحَا الشيء إذا بسطه ، والمعنى : لتهدمت الجبال ، ولصارت منبسطة ممتدة بعد علوها وارتفاعها . **انظر** : « مختار الصحاح » ص ٢٠٠ ، « المعجم الوجيز » ص ٢٢٢ .

(٥) **صُدِع قلبه** : من صُدِّع تصديعًا إذا تفرَّق وانْشَقَّ وانقطع ، يُقال صَدَعْتُ الفلاة قطعتُها .

انظر : « القاموس » (٢/ ٨٠٥) ، « المصباح المنير » (١/ ٣٣٥) .

قلبه[1] .

وروى عن الحسن - رحمه الله تعالى - **قال** : يا ابن آدم إذا وسوس لك الشيطان بخطيئة أو حدثت بها نفسك فاذكر عند ذلك ما حَمَّلك الله من كتابه مما لو حملته الجبال الرواسى لخشعت وتصدّعت ، أما سمعته يقول : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ الآية ، فإنما ضرب لك الأمثال لتتفكر فيها وتعتبر بها وتنزجر بها عن معاصى الله عز وجل ، وأنت يا ابن آدم أحقُّ أن تخشع لذكر الله ، وما حملك من كتابه[2] ، وآتاك من حِكَمِهِ ؛ لأنَّ عليك الحسابَ ولك الجنَّة أو النار .

★ ★ ★

---

(١) الأثر ثابت رواه ابن أبى عاصم فى « الزهد الكبير » ص ٣١٩ ، وأبو نعيم فى « الحلية » (٢/ ٣٧٨) ، وابن المنذر فى « تفسيره » كما فى « الدر المنثور » (٨/ ١٢١) .

(٢) أورد ابن كثير فى « تفسيره » (٤/ ٣٤٣) نحو هذا المعنى عن الحسن فى كلامه على الآية : ٢١ من سورة الحشر .

الاستعاذة من عدم الخشوع

وقد كان النبىُّ صلَّى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من قلب لا يخشع كما فى صحيح مسلم عن زيد بن أرقم[(١)] أن النبىَّ صلَّى الله عليه وسلم كان يقول : « اللَّهمَّ إنى أعوذُ بك من عِلْم لا يَنْفَعُ ، وقَلْب لا يَخْشع ، ومن نَفْسٍ لا تشبع ، ومن دَعْوة لا يُسْتجابُ لها »[(٢)] وروى نحوه عن النبىِّ صلَّى الله عليه وسلم من وجُوهٍ متعددةٍ[(٣)] .

---

(١) **زيد بن أرقم بن زيد الأنصارى** رضي الله عنه ، أخو بنى الحارث بن الخزرج ، صحابى جليل ، له مع النبى ﷺ سبع عشرة غزوة أولها المُريسيع ، توفى بالكوفة سنة ٦٨هـ . **انظر** : « الإصابة » (١/ ٥٦٠) ، « أسد الغابة » (٢/ ٢١٩) .

(٢) **صحيح** : رواه مسلم كتاب الذكر (٢٧٢٢) ، وابن أبى شيبة فى « المصنف » (٢٩١٢٤) ، والنسائى (٨/ ٢٦٠) ، وأحمد (٤/ ٣٧١) .

(٣) حيث جاء ذلك عن جمع من الصحابة منهم أنس ، وعبد الله بن عمر ، وجرير ، وابن عباس ، وأبى هريرة ، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم . **انظر** : الترمذى (٣٤٨٢) ، الطبرانى « الكبير » (٢٧٠) ، (١١٠٢٠) ، الحاكم (١/ ١٨٥) ، والبيهقى فى « السنن » (٤/ ٤٤٤) ، « سنن النسائى » (٨/ ٢٦٠) .

ويروى عن كعب الأحبار[1] **قال** : مكتوب فى الإنجيل يا عيسى قلب لا يخشى : علمه لا ينفع ، وصوته لا يسمع ، ودعاؤه لا يرفع .

قال أسد بن موسى[2] فى « كتاب الورع »[3] حدثَّنا مبارك بن فُضالة[4] كان الحسن - رحمه الله تعالى -

---

(١) **كعب بن ماتع الحِمْيرى** ، الشهير **بكعب الأحبار** ، كان قد قرأ الكتاب ، وأسلم فى خلافة عمر ﷺ ، وتوفى سنة ٣٤هـ . **انظر** : « ترجمته فى « سير أعلام النبلاء » (٣/ ٤٨٩) ، « طبقات ابن سعد » (٧/ ٤٤٥) .

(٢) **أسد بن موسى بن إبراهيم الأموى** ، المعروف **بأسد السُّنَّة** ، المتوفى سنة ٢١٢هـ ، فقيه ، حافظ مُحَدِّث ، له رحلات فى طلب الحديث .

انظر : « شذرات الذهب » (٢/ ٢٧) ، « تذكرة الحُفاظ » (١/ ٣٦٣) ، « التهذيب » (١/ ٢٦٠) .

(٣) ذكره ابن خير فى « فهرسته » ص ٢٧٠ ، وقد طبعه المستشرق آلار سنة ١٩٧٦م .

(٤) **مبارك بن فضالة بن أبى أُمية البصرى** تابعى عابد ، ناسك ، من العُبَّاد ، **قال أحمد** : ما رواه عن الحسن يُحتجُّ به ، وقد ضعَّفه جمعٌ من أهل الحديث ، توفى سنة ٦٦هـ .

انظر : « التهذيب » (٥/ ٣٦٥) ، « شذرات الذهب » (١/ ٢٥٩) .

يقول : إن المؤمنين لما جاءتهم هذه الدعوة من الله صدّقوا بها ، وأفضى يقينها إلى قلوبهم ، وخشعت لله قلوبهم وأبدانهم وأبصارهم ، وكنتُ والله إذا رأيتهم رأيتُ قومًا كأنهم رأىُ عين ، فوالله ما كانوا بأهل جَدَل ولا باطل ، ولا اطْمأَنُّوا إلاَّ إلى كتاب الله ، ولا أَظْهروا ما ليس فى قلوبهم ، ولكنْ جاءهم عن الله أمرٌ فصدَّقوا به فَنَعَتَهُمْ الله تعالى فى القرآن أحسنَ نَعْت ، فقال ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[1] . [**قال** : حُلَماء لا يجهلون ، وإذا جُهل عليهم حلموا ، يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون] ثم ذكر ليلهم خير ليل فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾[2] ينتصبون لله على أقدامهم ، ويفترشون وجوههم لربهم سُجَّدًا ، تجرى دُموعهم على خُدودهم فَرَقًا[3] من ربهم .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٦٣ . (٢) سورة الفرقان ، الآية : ٦٤ .
(٣) فَرَقَ : إذا فَزِع ، وخاف . انظر : « القاموس » (٣/ ٤٨٠) .

وقال الحسن - رحمه الله تعالى - : لأمر ما سهروا ليلهم ، ولأمر ما خشعوا نهارهم قال ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [1] .

قال : [وكل شيء يُصيب ابن آدم ثم يزول عنه فليس بغرام [2] ، إنما الغرام الملازم له ما دامت السموات والأرض] [3] .

قال : صدق القوم والله الذى لا إله إلاَّ هو فَعَمِلوا وأنتم تتمنون فإيَّاكم وهذه الأمانى ، رحمكم الله ، فإنَّ

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٦٥ .

(٢) **قال الطبريُّ** : قوله (غرامًا) أى دائمًا غير مفارق لهم العذاب ، **وقال غيره** : غرامًا : هلاكًا ، **وقيل** : هو الملازم الدائم الذى لا ينفك عنهم .
انظر : « تفسير الطبرى » (١٩/ ٣٥) ، تفسير القرطبى (١٣/ ٧٢) ، معانى القرآن (٣/ ٢٢٦) .

(٣) ما بين الأقواس فى هذا الأثر رواه جمع من الأئمة : الطبرى فى « تفسيره » (١٩/ ٣٤ - ٣٥) ، وهناد فى « الزهد » (١/ ٢٧٧) ، وابن أبى عاصم فى « الزهد الكبير » ص ٢٧٧ ، ٢٨٦ ، وابن المبارك فى رقم (٣١٧) ، وابن أبى شيبة فى « المصنف » (٧/ ٥٨ ، ١٨٨ - رقمى ٣٤١٨٨ ، ٣٥٢٠٤) .

الله لم يُعط عبدًا بأمنيته خيرًا قطُّ فى الدُّنيا والآخرة ، وكان يقول : يا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة[1] .

★ ★ ★

(١) الأثر بهذا التمام أخرجه عبد بن حميد فى « تفسيره » كما فى « الدر المنثور » (٦/ ٢٧٤) عن الحسن البصرى رضي الله عنه .

فصل فى بيان الخشوع فى الصلاة

وقد شرع الله تعالى لعباده من أنواع العبادات ما يَظْهرُ فيه خشوع الأبدان الناشئ عن خشوع القلب ، وذلّه وانكساره ، ومن أعظم ما يظهر فيه ذلك من العبادات الصلاة ، وقد مدح اللَّهُ تعالى الخاشعين فيها بقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [1] ، وقد سبق بعض ما قاله السَّلف فى تفسير الخُشوع فى الصلاة .

وقال ابن لهيعة [2] عن عطاء بن يسار [3] رحمه الله

---

(١) سورة المؤمنون ، الآيتان : ١ ، ٢ .

(٢) **عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمى** ، قاضى مصر ، أبو عبدالرحمن ، مُتَكَلَّم فيه ، وحديثه من رواية ابن المبارك ، وابن وهب ، وابن المقرى مستقيم ، فقد حدَّثوا عنه ، قبل اختلاطه ، توفى سنة ٧٤هـ ، **انظر** : « التهذيب » (٥/ ٣٧٣) ، « التقريب » (١/ ٤٤٤) ، « رجال مسلم » (١/ ٣٨٥) .

(٣) **عطاء بن يسار أبو محمد الهلالى المدنى** ، مولى ميمونة زوج النبى ﷺ ، ثقة مُحَدِّث ، من كبار علماء التابعين ، **قال ابن سعد** : ثقةٌ كثير الحديث ، =

تعالى عن سعيد بن جُبير[1] - رحمه الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ يعنى : مُتواضعين لا يعرفُ مَنْ عن يمينهِ ، ولا من عن شماله ، ولا يلتفت من الخشوع لله عز وجل[2] .

وقال ابن المبارك[3] عن أبى جعفر[4] عن

= توفى سنة ١٠٣هـ بالإسكندرية . **انظر** : « التهذيب » (٧/ ٢١٧) ، « الكاشف » (٢/ ٢٣٣) ، « الجمع » (١/ ٣٨٤) .

(١) **سعيد بن جبير بن هشام ، أبو عبد الله** : سمع التفسير من ابن عباس رضى الله عنهما ، **قال أحمد** : قتل الحجاج سعيدًا سنة ٩٥هـ ، وما من أحد فى الأرض إلا وهو محتاجٌ إلى علمه . **انظر** : « تهذيب الكمال » (١٠/ ٣٥٨) ، « تهذيب الأسماء » (١/ ٢١٦) ، « ثقات ابن شاهين » (رقم ٤٢٢) .

(٢) ذكر نحوه البغوى فى « تفسيره » (٣/ ٣٠١ - ٣٠٢) ، والأشبيلى فى « الصلاة » ص ١٩٣ .

(٣) **ابن المبارك** : الإمام الزاهد ، المجاهد الثقة ، **قال ابن حجر** : ثبت ، فقيه ، جُمعت فيه كل خصال الخير ، توفى سنة ١٨١هـ . **انظر** : « تذكرة الحُفَّاظ » (١/ ١٧٤) ، « التهذيب » (٥/ ٣٨٢) ، « رجال البخارى » (١/ ٤٢٩) .

(٤) **أبو جعفر** : **هو عيسى بن أبى عيسى ماهان الرازى** ، التميمى ، تابعى صدوق ، مشهور بكنيته ، يروى عن الربيع ، وليث بن أبى سليم ، **قال ابن عبد البر** : ثقة عالم بالقرآن ، توفى سنة ٦٠هـ .
انظر : « التقريب » (٢/ ٤٠٦) ، « التهذيب » (٦/ ٣٢٤) .

ليث [١] عن مجاهد : ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ [٢] قال : القُنوت الرُّكونُ والخشوع وغضُّ البصر وخَفْضُ الجناح من رحمة الله تعالى .

قال : وكان العلماء إذا قام أحدُهم فى الصَّلاة هَاب الرحمن عزَّ وجل عن أن يشدَّ نظره أو يلتفت أو يُقلِّب الحَصى أو يعبث بشىء أو يُحَدِّث نفسه بشىء من أمر الدُّنيا إلاَّ ناسيًا ما دام فى صلاته [٣] .

وقال منصور [٤] عن مجاهد رحمه الله تعالى فى قوله

---

(١) **اللَّيث بن أبى سُليم بن زُنَيم** ، صدوق مختلط ، ضعفه الجمهور ، توفِّى سنة ٤٨هـ . **انظر** : « التقريب » (٢/ ١٣٨) ، « التهذيب » (٤/ ٦١٢) .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٨ .

(٣) رواه ابن المبارك فى « الزهد » (١٠٧٧) ، والمروزى فى « الصلاة » (١٣٨) بهذا اللفظ ، وبنحوه عند الطبرى فى « تفسيره » (٢/ ٥٦٨) ، والحكيم الترمذى فى « نوادر الأصول » (٤/ ١٩٠) .

(٤) **منصور بن المعتمر بن عبد اللَّه بن ربيعة** ، تابعىٌّ ثقة، يروى عن مجاهد ، **قال يحيى** : أثبت الناس فى مجاهد ، **قال العجلى** : كوفى ثبت فى الحديث . **انظر** : « التهذيب » (٥/ ٥٤٥) ، « التقريب » (٢/ ٢٧٦) .

تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [1] قال : الخُشوع فى الصلاة [2] .

وخرّج الإمام أحمد والنسائى والترمذىُّ من حديث الفضل بن عباس [3] رضى الله عنهما عن النبىِّ صلَّى اللَّه عليه وسلم قال : « الصلاة مثنى مثنى تَشَهُّد فى كل ركعتين ، وتَخَشُّعٌ وتَضَرُّعٌ وَتَمسْكُن [4] وتُقَنِّعُ [5] يذيك »

---

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢٩ .

(٢) رواه ابن المبارك فى « الزهد » (١٧٣) ، والطبرى فى « تفسيره » (٢٦/ ٢١٢) ، وأبو نعيم فى « الحلية » (٣/ ٢٨٢) عن مجاهد .

(٣) **الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم** ، صحابى جليل ، كنيته أبو محمد ، استشهد بالشام يوم أجنادين فى خلافة أبى بكر ﷺ ، **وقيل** : فى خلافة عمر ﷺ سنة ١٥هـ ، **انظر** : « الإصابة » (٣/ ٢٠٨) ، « أسد الغابة » (٤/ ١٨٣) ، « التجريد » (٢/ ٨) .

(٤) **تَمسكُن** : قال الخطابى : من المسكنة ، **وقيل معناه** : السكون والوقار . **انظر** : « معالم السُّنن » (٢/ ٦٦) .

(٥) **تُقَنِّع** : قال الخطابى : هو رفعهما فى الدعاء والمسألة ، وفى « التحفة » أى ترفعهما إلى ربك ، مستقبل ببطونهما وجهك .

انظر : « معالم السُّنن » (٢/ ٦٦) « تحفة الأحوذى » (٢/ ١٧١) .

يقولُ : ترفعهما إلى ربك عز وجل وتقول : « يا ربّ يا ربّ يا ربّ ، فمن لم يفعل ذلك فهى خداج [(١)] » [(٢)] .

وفى صحيح مسلم عن عثمان رضى الله عنه عن النبىِّ صلَّى الله عليه وسلم قال : « ما من امرئ مسلم تحضرهُ صلاةٌ مكتوبةٌ فيُحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلاَّ كانت كفَّارةً لِمَا قبلها من الذُّنوب ما لم تُؤْت كبيرةٌ ، وذلك الدهر كله » [(٣)] .

---

(١) خِدَاج : النُّقصان ، يقال : خَدَجت الناقة إذا ألقَتْ ولدَها قبل أوانه ، وقوله فهى خَداج : أى ذات خَدَاج ، ووصفها بالمصدر مبالغة . انظر : « النهاية » (٢/ ١٢) .

(٢) ضعيف لاضطرابه : رواه الترمذى (٣٨٥) ، وأبو داود (١٢٩٦) ، وأحمد (١/ ٢١١) ، وابن خزيمة (٢/ ٢٢٠) ، وأبو يعلى (٦٧٣٨٠) وفيه عبد الله بن نافع وهو مجهول كما فى « التقريب » (١/ ٣٢٦) ولذا ضعفه البخارى وابن خزيمة لاضطرابه . انظر : التعليق المغنى (١/ ٤١٨) للعظيم آبادى .

(٣) صحيح : رواه مسلم (١/ ٢٠٧ - رقم ٢٢٨) ، وعبد بن حميد فى « مسنده » (١/ ٤٩) ، وأحمد (٢٢٩١) ، وابن حبان فى الإحسان (١٠٤٤) ، والبيهقى فى « السنن » (٢/ ٢٩٠ - ٣٣٩٧) .

مظاهر الخشوع فى الصلاة

وممَّا يظهر فيه الخشوع والذلُّ والانكسار من أفعال الصلاة وضع اليدين إحداهما على الأُخرى فى حال القيام .

وقد رُوِىَ عن الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - أنه سُئل عن المراد بذلك فقال : هو ذلٌّ بين يدى عزيز . قال على ابن محمد المصرى الواعظ [1] رحمه الله تعالى : ما سمعت فى العلم بأحسن من هذا [2] .

ورُوِى عن بِشْر الحافى [3] - رحمه الله تعالى - قال :

---

(١) على بن محمد بن أحمد الواعظ البصرى ، المصرى قال ابن كثير : ارتحل إلى مصر ، وأقام بها حتى عُرف بالمصرى ، قال الخطيب : ثقة عارف ، أمين ، مقرئ توفى سنة ٥٢٥هـ . انظر : ترجمته فى : « العبر » (٢/ ٢٥٣) ، « البداية والنهاية » (١١/ ٢٢٢) ، « سير النبلاء » (٧/ ٣٨٩) .

(٢) ذكره بلفظه عن البصرى الواعظ أبو يعلى فى « طبقات الحنابلة » (١/ ٨٤) .

(٣) الإمام الربانى القدوة أبو نصر بشر بن الحارث المروزى المعروف ببشر الحافى ، سمع من جمع من الأئمة ، وكان آية فى الزهد والورع ، وقد ألَّف العلماء فى مناقبه ، توفى سنة ٢٢٧هـ . انظر : « شذرات الذهب » (٢/ ٦٠) ، « الحلية » (٨/ ٣٣٦) ، « طبقات الحنابلة » (١/ ٤٢٧) .

أشتهى منذ أربعين سنة أن أَضَعَ يدًا على يدٍ فى الصلاة ما يمنعنى إلا أن يكون قد أظهرت من الخُشوع ما ليس فى القلب مثله [1] .

وروى محمد بن نصر المروزى [2] - رحمه الله تعالى - بإسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : يُحشر الناس يوم القيامة على قَدْرِ صنيعهم فى الصلاة [3] ، وفسَّره بعض رواته بقبض شماله بيمينه وانحنى وبإسناده عن أبى صالح السمان [4] - رحمه الله تعالى - قال : يُبعث الناس

---

(١) رواه الخطيب البغدادى فى « تاريخ بغداد » (١٤/ ٣٩٩ ، ٤٢٥) بسنده إلى بشر الحافى - رحمه الله تعالى - .

(٢) **أبو عبد الله محمد بن نصر المروزى** ، الإمام الفقيه ، المحدِّث ، **قال ابن حبان** : كان أحد الأئمة فى الدنيا ممن جمع ، وصنف ، ومن أكثرهم صيانة فى العلم ، توفى سنة ٢٩٤هـ . له : الوتر ، الصلاة . **انظر** : « التهذيب » (٩/ ٤٨٩) ، « تذكرة الحُفَّاظ » (٢/ ١١٠٢) ، « هدية العارفين » (٢/ ٢١) .

(٣) **إسناده حسن وهو موقوف** : رواه المروزى فى « تعظيم الصلاة » (٣٣١) من طريق أبى حازم عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإسناده حسن .

(٤) **أبو صالح السمان** : اسمه **ذَكْوان** ، ويُقال له : **أبو صالح الزَّيات** ، تابعى ، مدنى ثقة ، توفى سنة ١٠١هـ ، وروى له الجماعة . **انظر** : « التقريب » (١/ ٢٣٨) ، « التهذيب » (٣/ ٢١٩) ، « علماء الأمصار » (٥٣٠) .

يوم القيامة هكذا ووضع إحدى يديه على الأخرى[1] .

القيام فى الصلاة يشبه الوقوف بين يدى اللَّه

وملاحظة هذا المعنى فى الصلاة يوجب للمصلِّى أن يتذكَّر وقوفه بين يدى الله تعالى للحساب .

كان ذو النون [2] - رحمه الله تعالى - يقول فى وصف العُبَّاد : لو رأيت أحدهم وقد قام إلى صلاته فلمَّا وقف فى محرابه واستفتح كلام سَيِّده ، خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذى يقوم الناس فيه لربِّ العالمين ، فانخلع قلبه وذهل عقله ، خرّجه أبو نعيم [3] - رحمه الله تعالى - .

---

(١) رواه المروزى فى « تعظيم الصلاة » (٣٣٢) بسند متصل .

(٢) **ذو النون بن إبراهيم المصرى أبو الفيض** ، يُقال له : **ثوبان** ، وقيل : **الفيض بن إبراهيم** ، فقيه زاهد من كبار أئمة التصوُّف ، وأول من تكلَّم فى علومه ، نشأ بقرى أخميم بسوهاج من صعيد مصر ، وتوفِّى سنة ٢٤٥هـ . **انظر** : « الشذرات » (١/ ١٠٨) ، « الحلية » (٩/ ٣٣١) ، « تاريخ بغداد » (٨/ ٣٩٣) .

(٣) رواه أبو نعيم فى « الحلية » (٩/ ٣٣١) .

ومن ذلك إقباله على الله عزَّ وجل وعدم التفاته إلى غيره وهو نوعان :

أحدهما : عدم التفات قلبه إلى غير ما هو مباح له ، وتفريغ القلب للربِّ عزَّ وجلَّ .

وفى صحيح مسلم عن عمرو بن عبسة [1] رضى الله عنه عن النبىِّ صلَّى الله عليه وسلم أنه قال فى فضل الوضوء وثوابه ، ثم قال : « فإن هو قام فصلَّى فحمد الله وأثنى عليه ومجَّده بالذى هو أهلُه ، وفرّغ قلبه لله انصرف من خطيئتَه كيوم ولدته أمه » [2] .

الثانى : عدم الالتفات بالنظر يمينًا وشمالاً ، وقَصْر

---

(١) **عمرو بن عبسة بن خالد بن سليم** ، صحابى جليل ، يُقال أنه كان أخًا لأبى ذر ﷺ لأمه ، أسلم قديمًا بمكة ، ويُقال إنه شهد بدرًا ، توفى فى أواخر خلافة عثمان ﷺ .

انظر : « الإصابة » (٣/ ٥ - ٦) ، « التقريب » (٢/ ٧٤) .

(٢) **صحيح** : رواه مسلم (٨٣٢) ، وأحمد (٤/ ١٣ - ١٧٠٦٠) ، والبيهقى فى « السنن » (١/ ٨١) .

النظر على موضع السجود ، وهو من لوازم الخشوع للقلب ، وعدم التفاته ، ولهذا رأى بعض السلف مصليًا يعبث فى صلاته ، فقال : « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » وسبق ذِكْرُه .

وخرَّج الطبرانى من حديث ابن سيرين [1] عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « كان النبىُّ صلَّى الله عليه وسلم يلتفت فى صلاته عن يمينه وعن يساره ثم أنزل الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [2] فخشع رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فلم يكن يلتفت يَمْنة ولا يَسْرة » [3] ورواه غيره عن

(١) **محمد بن سيرين الأنصارى** ، مولى أنس بن مالك ﷺ ، إمام التابعين الفقيه المحدِّث الورع ، من كبار علماء البصرة ، وحُفَّاظها ، توفِّى سنة ١١٠هـ . **انظر** : « التهذيب » (٩/ ٢١٤) ، « الكاشف » (٣/ ٤٦) ، « ثقات العجلى » (٤٠٥) .

(٢) سورة المؤمنون ، الآيتان : ١ ، ٢ .

(٣) رواه الطبرانى فى « الأوسط » (٤/ ٢٤٠ - ٤٠٨٢) ، وبنحوه عند الحاكم فى « المستدرك » (٢/ ٤٢٦) ، وفى سند الطبرانى راوٍ مجهول كما فى « المجمع » (٢/ ٨٠) ، وصوَّب الحفاظ إرساله عن ابن سيرين .

ابن سيرين- رحمه الله تعالى - مرسلاً وهو أصحُّ [1] .

الفتن تذهب الخشوع

وخرّج ابن ماجه من حديث أمِّ سلمة [2] رضى الله عنها قالت : « كان الناس فى عهد النبىِّ صلَّى الله عليه وسلم إذا قام أحدهم يصلِّى لم يَعْدُ بصره موضع قدميه ، فتوفى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلِّى لم يَعْدُ بصره موضع جبينه ، فتوفى عمر رضى الله عنه ، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلِّى لم يَعْدُ

---

(١) **صحيح مرسل** عن ابن سيرين : رواه ابن أبى شيبة (٦٣٢٢) ، وعبد الرزاق (٣٢٦٢) ، والمروزى فى « الصلاة » (١٣٧) ، والبيهقى فى « السنن » (٢/ ٢٨٣) ، وصحّح إرساله الذهبى فى « تلخيص المستدرك » (٢/ ٤٢٦) ، والبيهقى فى سننه .

(٢) **أم المؤمنين أُمُّ سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة** ، واسمها **هند** ، زوج النبى ﷺ ، أول مهاجرة من النساء روت عددًا من الأحاديث عن النبى ﷺ ، وأخرج حديثها الأئمة . **انظر** : « أسد الغابة » (٥/ ٥٨٨) ، « الإصابة » (٤/ ٤٢٣) .

بصره موضع القِبْلة ، ثم توفِّ عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكانت الفتنة فالتفت الناس يمينًا وشمالاً »[1] .

وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها سألت النبيَّ صلَّى الله عليه وسلم عن الالتفات فى الصلاة ، فقال : « هو اختلاس[2] يختلسه الشيطان من صلاة العبد »[3] .

---

(١) رواه ابن ماجه (١٦٣٤) ، والطبرانى فى « الأوسط » (٤/ ٣٦٨ - ٤٤٥٦) ، (٩/ ٤٩ - ٩١٠٤) وحسنه المنذرى فى « الترغيب » (١/ ١٩٢)، وأعلَّه البوصيرى بجهالة بعض رواته . **انظر** : « مصباح الزجاجة » (١/ ٥٤٤) .

(٢) **قال ابن حجر** : المخْتَلِسُ الذى يخطف من غير غلبة ويهرب ولو مع معاينة ، ولما كان الشيطان قد يشغل المصلىّ عن صلاته بالالتفات أشبه المختلس ، وفيه انقطاع عن ملاحظة التوجه إلى الحق ، **قال الطيبى** : سُمِّى بذلك لبيان قُبح تلك الفعلة ، والمصلى يُقْبِلُ عليه الربُّ سبحانه ، والشيطان مرتصد له ينتظر فوات ذلك عليه ، فإذا التفت اغتنم الفرصة ، فَسَلَبَهُ تلك الحالة .

باختصار من فتح البارى (٢/ ٢٧٤) .

(٣) رواه البخارى (٧٥١) ، (٣٢٩١) ، والنسائى (٣/ ٨) ، وابن خزيمة (٤٨٤) ، وابن حبان (٢٢٨٧) .

أحاديث فى النهى عن الالتفات

وخرّج الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - وأبو داود - رحمه الله تعالى - ، والنسائى - رحمه الله تعالى - من حديث أبى ذر [1] - رضى الله تعالى عنه - عن النبىّ صلىَّ الله عليه وسلم قال : « لا يزالُ الله مُقْبِلاً على العبد فى صلاتِه ما لم يلتفت ، فإذا التفت انصرف عنه » [2] وخرّج الإمام أحمد والترمذى من حديث الحارث الأشعرى رضي الله عنه [3] عن

(١) **أبو ذر** رضي الله عنه : **جُنْدب بن جُنادة** ، الصحابى الزاهد المشهور ، قال فيه النبى ﷺ : « ما أقلت غبراء ، وأظلت خضراء من رجلٍ أصدق لهجة من أبى ذرٍ » توفى سنة ٣٦هـ . **انظر** : « صفة الصفوة » (١/ ٥٨٥) ، « التهذيب » (١٢/ ٩١) ، « الحلية » (١/ ١٥٧) .

(٢) **صحيح وله شواهد** : رواه أبو داود (٩٠٩) ، وأحمد (٥/ ١٧٢) ، والدارمى (١٤٢٣) ، والنسائى (١١٩٥) ، وصححه ابن خزيمة (١/ ٢٤٤) ، والحاكم (١/ ٣٦١) ، وأقرّه الذهبى ، ويشهد له الحديث بعده .

(٣) **الحارث بن الحارث الأشعرى الشامى** ، صحابى يكنى **أبا مالك** ، تفرد بالرواية عنه أبو سلام . **انظر** : « التهذيب » (١/ ٤٠٦) ، « التقريب » (١/ ١٣٩) « الإصابة » (٢/ ١٩) .

النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم : « أن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهنّ » ، فذكر منها : « وأمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت ، فإذا صَلَّيْتم فلا تلتفوا » [1] .

وفى المعنى أحاديث أُخر متعددة .

وقال عطاء سمعت أبا هريرة يقول : « إذا صلَّى أحدكم فلا يلتفت فإنَّهُ يناجى ربَّه ، إنَّ رَبَّه أمامه وإنه يناجيه فلا يلتفت » [2] .

قال عطاء - رحمه الله تعالى - : وبلغنا أن الرَّب عزَّ وجلَّ يقول : « يا ابن آدم إلى من تلتفت ؟! . . أنا خير لك ممن تلتفت إليه » [3] ، وخرَّجه البزار وغيره

---

(١) صحيح : رواه الترمذىُّ (٢٨٦٣) ، وأحمد (٤/ ٢٠٢) ، والطيالسى (١١٦١) ، وابن خزيمة (٢٤٨٣) ، وابن حبان (إحسان : ٦٢٣٣) ، وأبو يعلى فى « مسنده » (١٥٧١) ، وصحَّحه الترمذىُّ وابن خزيمة وابن حبان .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى « مصنفه » (٢/ ٣٥٧ - ٣٢٧٠) ، ورجاله ثقات .

(٣) حسن : وهو موقوف رواه البزار « كشف الأستار » (٥٥٣) ، وفى =

مرفوعًا [1] والموقوف أصحّ .

وقال أبو عمران الجونى - رحمه الله تعالى - : أوحى الله عزَّ وجلَ إلى موسى عليه السلام إذا قمت بين يدىّ فقم مقام العبد الحقير الذليل ، وذم نفسك فهى أَوْلَى بالذمِّ ، وناجنى بقلب وَجِلٍ ولِسَانٍ صادق [2] .

دلالة الركوع والسجود على الذُّل للَّه

ومن ذلك الركوع ، وهو ذل بظاهر الجسد ، ولهذا

= سنده ضعف كما فى « المجمع » (٢/ ٨٠) ، وهو مروى بلفظه عند عبدالرزاق (٣٢٧٠) ، وابن أبى شيبة (٤٥٣٨) ، والمروزى « الصلاة » (١٤٢) موقوفًا عن عطاء عن أبى هريرة ﷺ وهو الأصحُّ .

(١) المرفوع **لا يصحُّ** : رواه البزار « كشف » (٥٥٢) عن جابر ﷺ ، وسنده ضعيف كما فى « المجمع » (٢/ ٨٠) ، رواه العقيلى فى « الضعفاء » (١/ ٧٠) ، وابن عدى فى « الكامل » (٤/ ١٠٧) ، والبيهقى فى « الشعب » (٣/ ١٣٨) عن أبى هريرة ﷺ وضعفه الذهبى فى « الميزان » (٣/ ٤٦٧) ، وكذا العقيلى وابن عدى وصوَّبوا وقفه .

(٢) رواه أبو نعيم فى « الحلية » (٦/ ٥٥) .

كانت العرب تأنف منه ولا تفعله حتى بايع بعضهم[1] النبيَّ صلَّى الله عليه وسلم أن لا يخرّ إلاَّ قائمًا ، يعنى : يسجد من غير ركوع ، كذلك فسَّره الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - والمحققون من العلماء .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴾[2] .

دلالة الركوع على الخشوع

وتمام الخضوع فى الركوع أن يخضع القلب لله ، ويذلّ له ، فيتم بذلك خُضوع العبد بباطنه وظاهره لله عز وجل ؛ ولهذا كان النبى صلَّى الله عليه وسلم يقول فى ركوعه : « خشع لك سمعى وبصرى ومُخِّى وعظمى ، وما استقلَّ به قدمى »[3] إشارة إلى أنَّ خضوعه فى ركوعه

---

(١) **صحيح** : مروى عن حكيم بن حِزام رضي الله عنه قال : « بايعتُ النبىَّ ﷺ ألا أَخِرَّ إلا قائمًا » رواه النسائى (٢/ ٢٠٥) ، وأحمد (١٥٣٤٧) ، والطيالسى (١٣٦٠) والطبرانى فى « الكبير » (٣/ ١٩٦) ، والبيهقى فى « السنن » (١/ ٢٢٨) .

(٢) سورة المرسلات ، الآية : ٤٨ .

(٣) سبق تخريجه .

قد حصل بجميع جوارحه ، ومِنْ أعظمها القلبُ الذى هو مَلِكُ الجوارح والأعضاء ، فإذا خشع خشعت الجوارح والأعضاء كُلُّها تبعًا له ولخشوعه .

دلالة السجود على الخشوع

ومن ذلك السجود وهو أعظم ما يظهر فيه ذلُّ العبد لربِّه عزَّ وجلَّ ، حيث جعل العبدُ أشرفَ أعضائه وأعزَّها عليه وأعلاها حقيقة أوضع ما يمكنه فيضعه فى التراب مُتَعَفِّرًا [1] ويتبعُ ذلك انكسارُ القلب وتواضُعُه وخُشُوعُهُ لله عزَّ وجلَّ .

ولهذا كان جزاء المؤمن إذا فعل ذلك أن يُقَرِّبَه الله عزَّ وجلَّ إليه ، فإن : « أقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد » [2]

---

(١) مُتَعَفِّرًا : من العَفَر : وهو ظاهر التراب ، عَفَرَهُ فى التراب يُعَفِّرُهُ : مَرَّغه فيه أو دَسَّهُ ، وضَرَبَ به الأرض . **انظر** : « القاموس » (٣/ ٢٥٩) .

(٢) **صحيح** : رواه مسلم (٤٨٢) ، وأبو داود (٨٧٥) ، والبغوى فى « السُّنة » (٦٥٨) عن أبى هريرة ﷺ .

كما صحَّ ذلك عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم وقال الله تعالى : ﴿ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ﴾ [1] .

والسجود أيضًا ممَّا كان يأْنَفُ منه المشركون المستكبرون عن عبادة الله عزَّ وجلَّ ، وكان بعضهم يقول : أكره أن أسجد فتعلونى إسْتى [2] ، وبعضهم يأخذ كفًّا من حصى فيرفعه إلى جبهته ، ويكتفى بذلك عن السجود .

وإبليس إنما طرده الله لـمَّا استكبر عن السجود لمن أمره الله بالسجود له .

ولهذا يبكى إذا سجد المؤمن ويقول : « أُمِرَ ابنُ آدمَ بالسجود فَفَعَلَ فله الجنة ، وأُمرتُ بالسجود فعصيتُ فلى النار » [3] .

---

(١) سورة العلق ، الآية : ١٩ .

(٢) إسْتِى : من السَّتْهِ ، والجمع : أستاهٌ ، وهى حلقة الدُّبُر ، وآخر الشىء وعجزه . **انظر** : « القاموس » (٢/ ٥٢٠) .

(٣) **صحيح** : رواه مسلم (٨١/١٣٣) ، وأحمد (٢/ ٤٤٠) ، وابن ماجه (١٠٥٢) ، وابن خزيمة (٥٤٩) عن أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

شهود مقام العبودية فى الركوع والسجود

ومن تمام خشوع العبد لله عزَّ وجلَّ وتواضعه له فى ركوعه وسجوده أنه إذا ذَلَّ لربِّه بالركوع والسجود وصف ربه حينئذ بصفات العزِّ والكِبْرياء والعَظَمة والعُلُو ، فكأنه يقول : الذلُّ والتواضع وصفى ، والعُلُّو والعَظمة والكبرياء وَصْفك ، ولهذا شُرِعَ للعبد فى ركوعه أن يقول : سبحان ربى العظيم ، وفى سجوده : سبحان ربى الأعلى [(١)] .

وكان النبىُّ ﷺ أحيانًا يقول فى سجوده : « سبحان ذى المُلْك والملكوت والجبروت والكبرياء [(٢)]

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم (٧٧٢) وأبو داود (٨٧١) ، وابن خزيمة (١٣٣٤) ، والنسائى (٣/ ٢٢٦) عن حذيفة رضي الله عنه .

(٢) **قال السيوطى** : الملكوت : اسم مبنىٌ من الملك ، والجبروت والملكوت هما مبالغة الجبر ، وهو القهر ، والملكوت : من الملك والمعنى أنه تعالى صاحب القَهْر والتصرُّف البالغ كل منهما غايته . **انظر** : « شرح السيوطى على النسائى » ، و« حاشية السندى » (٢/ ١٩١) .

والعظمة » [(١)] .

وروى عنه صلَّى الله عليه وسلم أنه قال ليلة فى سجوده : « أقول كما قال أخى داود عليه السلام : أُعُفِّرُ وجهى فى التراب لسيِّدى ، وحق لسيدى أن تُعَفَّرَ الوجوه له » [(٢)] .

قال الحسن - رحمه الله تعالى - : « إذا قمت إلى الصَّلاة فقم قانتًا كما أمرك الله ، وإيَّاك والسهوَ والالتفات ، إيَّاك أن ينظر الله إليك وتنظر إلى غيره ، وتسأل الله الجنة ، وتعوذ به من النار وقلبُك سَاهٍ لا تدرى ما تقول بلسانك »

---

(١) **صحيح بطُرقه** : مرويٌّ عن حذيفة ، وعوف بن مالك رضى الله عنهما . رواه النسائى (٢/ ١٩١) ، أبو داود (٨٥٩) ، أحمد (٦/ ٢٤) ، عن عوف ، ورواه النسائى فى « الكبرى » (٢/ ٢٤٤ - ٨٧٤) ، وابن أبى شيبة (٢٣٩٨) ، (٧٦٩٧) ، والطبرانى فى « الأوسط » (٥٦٨٩) ، والطيالسى (٤١٦) ، المروزى فى « الصلاة » (٣١٣) ، وأحمد (٥/ ٣٨٨) ، وقال فى « المجمع » (٢/ ١٠٧) : رجاله ثقات .

(٢) **ضعيف** : رواه ابن الجوزى فى « العلل المتناهية » (٢/ ٥٥٨) (٩١٧ ، ٩١٨) ، والبيهقى فى « الشعب » (٣/ ٣٨٥) ، وعزاه فى « الكنز » (٢/ ١٩٨١٢) إلى سعيد بن منصور فى « سُننه » **وقال ابن الجوزى** : لا يصحُّ .

خرّجه محمد بن نصر المروزى [1] – رحمه الله تعالى – .

وروى بإسناده عن عثمان بن أبى دهرش [2] قال : بلغنى أنَّ رسول الله ﷺ صلّى صلاة جهر فيها بالقراءة ، فلمَّا فرغ قال : « هل أسقطت من هذه السورة شيئًا ؟ » ، قالوا : لا ندرى ، فقال : أُبىّ بن كعب رضي الله عنه [3] : نعم آية كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ : « ما بال أقوام يُتلى

---

(١) رواه محمد بن نصر المروزى فى « تعظيم الصلاة » (١٤٠) ، وإسناده حسن .

(٢) كانت فى الأصل : [أوس] وهو خطأ والتصحيح من كتب الرجال ، وكتاب المروزى .

• **وعثمان بن أبى دهرش** هو المكى من أتباع التابعين ، يروى عن آل الحكم ابن أبى العاص ، ذكره البخارى وابن أبى حاتم وسكتا عليه ، وذكره ابن حبان فى « الثقات » . **انظر** : « الثقات » (٧/ ١٩٦) ، « صفة الصفوة » (٢/ ٤١٨) ، « التاريخ الكبير » (٦/ ٢٢٠) ، « الجرح والتعديل » (٦/ ١٤٩) ، « تحفة التحصيل » (١/ ٢٢٣) .

(٣) **أبىّ بن كعب** : **بن قيس بن عبيد أبو المنذر** ، الصحابى الجليل ، سيد القُرّاء . **قال عمر** رضي الله عنه : سيد المسلمين أبى بن كعب ، توفِّى سنة ١٩هـ ، **وقيل** : سنة ٣٢هـ . **انظر** : « تهذيب الكمال » (١/ ٢٦٢) ، « أسد الغابة » (١/ ٤٩) .

عليهم كتاب الله فلا يدرون ما يُتلى عليهم مما يُترك ، هكذا أخرجت عظمة الله من قلوب بنى إسرائيل شهدت أبدانُهم وغابت قُلُوبهم ، ولا يقبل الله من عبدٍ عملاً حتى يشهد بقلبه مع بدنه » [1] .

والآثار فى هذا المعنى كثيرة جدًّا .



(١) **ضعيف ولبعضه شواهد** : رواه بهذا التمام : المروزى فى « تعظيم الصلاة » (١٥٧) ، وسنده ضعيف بجهالة عثمان ، وانقطاعه ؛ لأنه من أتباع التابعين ، ولكن سؤال النبىّ ﷺ لأبى بن كعب عمَّا يكون قد أُسقِط من قراءته ﷺ فى الصلاة ثابت فى أحاديث كثيرة ، تُراجع فى « مجمع الزوائد » (٢/ ٦٩) .

صلاة الصالحين

ومرَّ عصام بن يوسف [1] - رحمه الله تعالى - بحاتم الأصم [2] وهو يتكلَّم فى مجلسه فقال : يا حاتم ، تحسن تصلِّ ؟ قال : نعم ، قال : كيف تصلِّ ؟ قال حاتم : أقوم بالأمر وأمشى بالخشية ، وأدخل بالنية ، وأُكبرُ بالعظمة ، وأقرأ بالترتيل والتفكُّر ، وأركع بالخُشوع ، وأسجد بالتواضُع ، وأجلس للتشهُّد بالتمام ، وأسلم بالنية ، وأختمها بالإخلاص لله عزَّ وجلَّ ، وأرجع على

---

(١) **عصام بن يوسف بن ميمون البلخى** ، روى عنه ابن المبارك ، وذكره ابن حبان فى « الثقات » **وقال** : كان ثبْتًا صاحب حديث ، توفِّى سنة ٢١٠هـ ، وضعفه ابن سعد ، **وقال الخليلى** : صدوق . **انظر** : « الثقات » (١/ ٥٢١) ، « الميزان » (٥/ ٨٦) ، « الكامل » (٥/ ٢٧١) .

(٢) **حاتم بن عنوان** ، ويُقال : ابن يوسف **أبو عبد الرحمن** ، الزاهد صاحب المواعظ ، والحِكَم ، من عُبَّاد خُراسان ، **كان يُقال له** : لقمان هذه الأمة ، عُرف بالورع والتقشُّف والزُّهد ، توفِّى سنة ٢٣٧هـ . **انظر** : « الشذرات » (١/ ٨٦) ، « السير » (١١/ ٤٨٧) ، « تاريخ بغداد » (٨/ ٢٤٨) ، « الحلية » (٨/ ٨٣) .

نفسى بالخوف ، أخاف أن لا يقبل منِّى وأحفظه بالجهد إلى الموت ، قال : تكلم فأنت تُحسن تصلى [1] .

فصل فى الدعاء ودلالته على الخُضوع للَّه والذّل له

ومن أنواع العبادات التى يظهر فيها الذُّلُّ والخُضوع لله عزَّ وجلَّ : الدعاء ، قال الله تعالى : ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً ﴾ [2] وقال : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [3] .

فممَّا يظهر فيه من الذُّلِ رفعُ اليدين ، وقد صحَّ عن النبىِّ صلَّى الله عليه وسلم رفع يديه من الدعاء فى مواطن

(١) الأثر رواه أبو نعيم فى « حلية الأولياء » (٨/ ٧٤) .
(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٥٥ .
(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٠ .

كثيرة وأعظمها فى الاستسقاء [1] ، فإنه كان يرفع يديه حتى يُرى بياض إبطيه [2] .

وكذلك كان يجتهد فى الرفع عشية عرفة بعرفة ، وخرّج الطبرانى - رحمه الله تعالى - من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : « رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وسلم يدعو بعرفة ويداه إلى صدره كاستطعام المسكين » [3] .

وقد كان بعض الخائفين يجلس بالليل ساكتًا مُطْرقًا برأسه ويمد يديه كحال السائل ، وهذا من أبلغ صفات الذُّلّ وإظْهار المسكنة والافتقار .

---

(١) **الاستسقاء** : طلب سقى الماء من الغير للنفس أو الغير . **وشرعًا** : **قال ابن حجر** : طلبه من الله عند حصول الجدب على وجه مخصوص .
انظر : « المصباح المنير » (١/ ٢٨١) ، « فتح البارى » (٢/ ٥٧١) .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الاستسقاء عن أنس ﷺ (١٠٣٠ ، ١٠٣١) ، ومسلم (٨٩٥ - ٨٩٧) .

(٣) **ضعيف** : رواه الطبرانىُ فى « الأوسط » (٢٨٩٢ ، ٢٨٩٣) ، وابن عدى فى « الكامل » (٢/ ٣٥٠) ، والبيهقى فى « السنن » (٥/ ١١٧) ، وفيه حسين بن عبد الله وهو ضعيف كما فى « المجمع » (١٠/ ١٦٨) ، « الميزان » (٢/ ٢٩٢) ، « الكامل » (٢/ ٣٥٠) .

افتقار القلب وانكساره للَّه فى الدعاء

ومنه افتقار القلب فى الدعاء ، وانكساره لله عزَّ وجلَّ ، واستشعاره شِدّة الفاقة إليه ، والحاجة لديه ، وعلى قدر الحُرْقة والفاقة تكون إجابة الدعاء ، وفى « المسند » والترمذىّ عن النبىّ صلَّى الله عليه وسلم : « إن الله لا يستجيبُ دعاءً من قلبٍ غَافِلٍ لاَهٍ »[1] .

ومن ذلك إظهار الذلّ باللسان فى نفس السؤال والدعاء والإلْحاح فيه .

قال الأوزاعى[2] - رحمه الله تعالى - : كان يقال : أفضل الدعاء الإلحاح على الله والتضرُّع إليه .

---

(١) حسن : رواه الترمذىُّ (٣٤٧٩) ، والحاكم (١/ ٦٧١) ، والطبرانى فى « الأوسط » (٥١٠٩) عن أبى هريرة ﷺ ، وفيه صالح المرى وهو ضعيف وله شاهد من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، رواه أحمد (٢/ ١٧٧) ، وحسَّنه الهيثمى فى « المجمع » (١/ ١٤٨) ، والمنذرى فى « الترغيب » (٢/ ٣٢٢) .

(٢) **عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى** : إمام أهل الشام فى وقته ، **قال ابن سعد** : ثقة مأمون كثير الحديث والفقه ، توفى سنة ١٥٧هـ .

انظر : « الإرشاد » (١٩٨) ، « تذكرة الحُفَّاظ » (١/ ١٧٨) .

وفى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبىَّ صلَّى الله عليه وسلم دعا يوم عرفة فقال : « اللهمَّ إنك ترى مكانى ، وتسمع كلامى ، ولا يخفى عليك شىء من أمرى ، أنا البائس الفقير ، المستغيث المستجير ، الوَجِلُ المشفقُ ، المقِرُّ المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأَبْتَهِلُ إليك ابتهال المُذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، دعاء من خضعت لك رقبتهُ ، وذَلَّ لك جسدهُ ، ورَغِمَ لك أنفُهُ ، وفاضت عيناهُ ، اللهمَّ لا تجعلنى بدعائك رَبِّ شقيًّا ، وكن بى رءوفًا رحيمًا ، يا خير المسئولين ، ويا خير المُعْطِين »[1] .

وكان بعضهم يقول فى دعائه : بعزَّتِكَ وذُلْى وبغنَاكَ وفقرى .

---

(١) ضعيف : رواه الطبرانىُّ فى « الكبير » (١١٤٠٥) ، « الصغير » (١٦/١) ، وابن الجوزى فى « العلل المتناهية » (٣٦٠/٢) ، والخطيب فى « تاريخه » (١٦٣/٦) ، وضعفه العراقى فى « تخريج الإحياء » (٦٦٢/٢) ، الهيثمى فى « المجمع » (٢٥٥/٣) .

وقال طاوس[1] - رحمه الله تعالى - دخل عليٌّ بن الحسين[2] - رحمه الله تعالى - ذات ليلة الحجرة فصلَّى فسمعته يقول في سجوده : عُبيدك بِفِنَائِكَ[3] فقيرك بفِنَائِكَ ، مسكينك بِفِنَائِكَ ، سائلك بِفِنَائِكَ ، قال طاوس : فحفظتهنَّ ، فما دعوت بهنَّ في كَرْب إلاَّ فَرَّجَ عني[4] .

---

(١) **طاوس بن كيسان اليماني ، أبو عبد الرحمن الحميري** ، تابعي جليل من كبار أئمة التابعين ، أدرك خمسين صحابيًا ، وكان فقيهًا ، مُحَدِّثًا من كبار الزُّهاد ، توفي سنة ١٠١هـ بمكة . **انظر** : « طبقات ابن سعد » (٥/ ٥٣٧) ، « سير النبلاء » (٥/ ٣٨) .

(٢) **علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب** رضى اللَّه عنهم ، يكنى **أبا الحسين** الهاشمي المدني ، سيد شباب أهل الجنة ، فقيه ، مُحَدِّث من كبار التابعين من أهل البيت رضى الله عنهم جميعًا ، **قال ابن سعد** : ثقة مأمون كثير الحديث ، توفي سنة ١٠٠هـ . **انظر** : « التهذيب » (٧/ ٣٠٤) ، « تذكرة الحُفَّاظ » (١/ ٧٠) ، « السير » (٤/ ٣٨٦) .

(٣) **فِنَائِك** : فِنَاءُ الدار : ما اتسع وامتد من جوانبها ونواحيها ، وما كان أمامها ، والجمع أفنية ، والمعنى : عُبيدك بساحتك ، وما اتسع من أرضك وملكك . **انظر** : « القاموس » (٣/ ٥٢٩) ، « مختار الصحاح » (٢/ ٥١٣) .

(٤) **انظر** هذا الأثر في « المنتظم » لابن الجوزي (٦/ ٣٢٩) ، « السير » للذهبي (٤/ ٣٩٣) ، « صفة الصفوة » (٢/ ١٠٠) .

خرَّجه ابن أبى الدنيا [1] .

وروى ابن باكويه الصُّوفى [2] - رحمه الله تعالى - بإسنادٍ له أنَّ بعض العُبَّادِ حَجَّ ثمانين حجَّة على قدميه فبينما هو فى الطواف وهو يقول : يا حبيبى ، وإذا بهاتف يهتف أليس ترضى أن تكون مسكينًا حتى تكون حبيبًا ؟ قال : فَغُشى عَلَىَّ ثم كنت بعد ذلك أقول مسكينك وأنا تائب عن قولى حبيبى .

---

(١) **عبد اللَّه بن محمد بن عُبَيْد الأموى** ، المعروف بابن أبى الدنيا البغدادى الحافظ المحدِّث ، صاحب التصانيف المشهورة ، **قال الخطيب البغدادى** : المُحَدِّث الحافظ كان مؤدب أولاد الخلفاء ، توفِّى سنة ٢٨٢هـ .

انظر : « تاريخ بغداد » (١٠/ ٨٩ - ٩١) ، « النجوم الزاهرة » (٣/ ٨٦) ، « السير » (١٣/ ٣٩٧) .

(٢) **أبو عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه بن باكويه الشيرازى** : الإمام الصالح ، شيخ الصوفية فى وقتِهِ ، فقيه مُحَدِّث ، له تصانيف أغلبها فى الزهد ، توفِّى سنة ٤٢٨هـ .

انظر : « السير » (١٧/ ٥٤٤) ، « التدوين فى أخبار قزوين » (١/ ٤٢٢) ، « النجوم الزاهرة » (٤/ ٢٨٠) .

فصل فى حب المساكين

خرّج ابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - عن النبىِّ صلَّى الله عليه وسلم أنه كان يقول فى دُعائه : « اللَّهُمَّ أحينى مسكينًا ، وأَمِتْنِى مسكينًا ، واحشرنى فى زُمْرة المساكين » [1] .

وخرّج الترمذىُّ من حديث أنس - رضى الله عنه - عن النبىِّ صلَّى الله عليه وسلم مثله وزاد : « فقالت عائشة - رضى الله عنها - لِمَ يا رسول الله ؟ [قال : لأنهم يَدْخُلُونَ الجنَّةَ قبل أغنيائِهِمْ بأربعين خريفًا ،] يا عائشة لا تَرُدِّى المسكين ولو بشق تمرة ، يا عائشة أحبى المساكين وقربيهم ، فإنَّ الله يُقَرِّبك يوم القيامة » [2] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) **ضعيف بهذا السياق ولبعضه شواهد** : رواه الترمذىُّ (٨١٤) ، وعبد ابن حميد فى « مسنده » (١٠٠٢) ، والبيهقىُّ فى « السنن » (٧/ ١٢) وضعَّفه =

وقال أبو ذر : « أوصانى رسول الله صلَّ الله عليه وسلم أَنْ أحبَّ المساكين ، وأن أدنوَ منهم » ، خرّجه الإمام أحمد[1] وغيره .

وفى حديث معاذ[2] - رضى الله عنه - عن النبىِّ صلَّى الله عليه وسلم قال فى قصة المنام : « أسألك فِعْلَ الخيرات ،

= الترمذىُّ وقال : غريب ، **قلت** : وما بين القوسين ثابت فى أحاديث كثيرة تدلُّ على دخول الفُقَراء الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفًا عند مسلم (٢٩٧٩) ، وأحمد (٢/ ١٦٩) ، (٣/ ٣٢٤) ، وابن حبان (٦٧٨) ، والترمذى (٢٣٥٥) عن جمع من الصحابة فلذا لَزِم التنبيه .

(١) **حَسنٌ** : رواه أحمد فى « مسنده » (٥/ ١٥٩ ، ١٧٣) ، وهناد فى « الزهد » (١٠١٣) ، والطبرانى فى « الكبير » (٢/ ١٥٦ ، ١٦٦) ، وابن حبان (موارد : ٩٤) ، والحارث فى « مسنده » (٤٦٦ ، ٤٦٧) ، **وقال الهيثمى فى طريق الطبرانى** (٣/ ٩٣) : رجاله ثقات ، وفيه انقطاع ، **قلت** : وللحديث شواهد فهو حسن .

(٢) **معاذ بن جبل بن عمرو الأنصارى الخزرجى** ، الصحابى الجليل رضي الله عنه وصفه النبىُّ ﷺ بأنه أعلم الأمَّة بالحلال والحرام ، شهد العقبة وبدرًا والمشاهد كلها ، توفى سنة ١٨هـ .

انظر : « طبقات ابن سعد » (٣/ ١٢٠) ، « الحلية » (٣/ ١٢٠) .

وترك المنكرات ، وحُبَّ المساكين »[1] وذكر الحديث .

والمراد بالمساكين فى هذه الأحاديث ونحوها من كان قلبه مسكينًا خاضعًا لله ، خاشعًا له وظاهره كذلك ، وأكثر ما يوجد ذلك مع الفقر من المال ؛ لأنَّ المال يطغى .

وحديث أنس[2] - رضى الله عنه - يشهد بهذا إلاَّ أن إسناده ضعيف .

وخرَّج النسائى من حديث أبى ذرٍّ - رضى الله عنه -

(١) **صحيح** : رواه الترمذيُّ (٣٢٣٣ ، ٣٢٣٥) ، وأحمد (١/ ٣٦٨) (٤/ ٦٦) ، وعبد بن حميد (٦٨٢) وابن أبى عاصم فى « الآحاد والمثانى » (٥/ ٤٨) ، والطبرانى فى « الكبير » (٢٠/ ١٠٩) ، والحاكم (١/ ٧٠٢) ، وصححه وأقره الذهبى ، وكذا الترمذى .

(٢) يقصد ما رواه أنس ﷺ مرفوعًا : « اللهمَّ إنى أَعوذ بك من كل فقر ينسينى ، وأعوذ بك من كل غنى يطغينى » رواه أبو يعلى فى « مسنده » (٤٣٥٢) ، والطبرانى فى « الكبير » (٨٩٧٧) ، وسنده ضعيف مرفوعًا كما فى « المجمع » (١٠/ ١١٠) ، ولكن ثبت بإسناد رجاله ثقات عن أحد التابعين وهو على الأزدى **قال** : كان من دعاء داود . . فذكره ، رواه ابن أبى شيبة (٢٩٣٧٨) .

عن النبى صلَّى الله عليه وسلم قال : « إنَّ الفقر فقر النفس ، والغنى غنى القلب »[1] .

وفى الصحيحين عن النبىِّ صلَّى الله عليه وسلم قال : « إنَّ الغنى غنى النفس »[2] .

ولهذا قال الإمام أحمد ، وابن عيينة[3] وابن وهب[4]

---

(١) **صحيح** : رواه النسائى فى « السنن الكبرى » كما فى « تحفة الأشراف » (٩/ ١٥٧) ، وابن حبان (٢٥٢١ موارد) والبيهقى فى « الشعب » (٧/ ٤٩٠) ، والطبرانى فى « مسند الشاميين » (٢٠٢٠) ، والحاكم (٤/ ٣٢٧) وصححاه وأقره الذهبى .

(٢) **متفق عليه** : رواه البخارى (٦٤٤٦) ، ومسلم (١٢٠/ ١٠٥١) عن أبى هريرة رضي الله عنه .

(٣) **سفيان بن عُيَينة بن أبى عِمْران الهلالى ، أبو محمد الكوفى** أحد أئمة المسلمين فى الحفظ ، والفقه والرواية ، **قال الشافعى** : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، توفى سنة ١٩٨هـ . **انظر** : « العبر » (١/ ٣٢٦) ، « سير النبلاء » (٨/ ٤٠٠) ، « وفيات الأعيان » (٢/ ٣٩١) .

(٤) **عبد اللَّه بن وهب بن مسلم الفِهْرى ، أبو محمد** أحد الأعلام ، **قال ابن عدى** : من أجِلَّة الناس وثقاتهم ، روى عن مالك والسفيانين ، وخَلْق ، توفى سنة ١٩٧هـ . **انظر** : « طبقات القراء » (١/ ٤٦٣) ، « المدارك » (٢/ ٤٢١) .

وجماعة من الأئمة : إنَّ الفقرَ الذى استعاذ منه النبىُّ صلَّى الله عليه وسلم فقرالنفس [1] فمن استكان قلبه لله عزَّ وجلَّ وخشع له ، فهو مسكين ، وإن كان غنيًّا من المال ؛

---

(١) تكلَّم العلماء – رحمهم الله – عن شبهة تعارض بين الأحاديث التى ذكرها ابن رجب « اللهمَّ أحينى مسكينًا . . . » وبين أحاديث أخرى صحيحة يستعيذُ فيها صلَّى الله عليه وسلم من الفقر ، وقد أوضح هذه المسألة جمع من الأئمة كابن عبد البر ، والقرطبى ، والبيهقى ، وابن حجر ، **وملخص كلامهم** : أن الذى استعاذ منه صلَّى الله عليه وسلم نوعان من الفقر : **الأول** : **فقر النفس** : وهو عدم القناعة بما يعطه الله للعبد من رزق ، والحرص على الازدياد من كل وجه أمكنه ، فإذا فاته مطلوبه حزن وأسف ، فكأنه لم يستغن بما أُعطى مع كفايته ، لذا فهو فقير القلب مع ما وهبه الله من مال ، وهذا بخلاف غنى النفس الذى ينشأ عن الرضا بقضاء الله والتسليم لأمره ، والقناعة بما آتاه الله . **والثانى** : الفقر الذى لا يُدْرَكُ معه القوت والكفاف فلهذا قال تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ (الضحى : ٨) ، ولم يكن غناه صلَّى الله عليه وسلم أكثر من ادخاره قوت نفسه وعياله ، وقد مات صلَّى الله عليه وسلم مكتفيًا بما أفاء الله عليه ، فلهذا كان يستعيذ صلَّى الله عليه وسلم من فقر مُنسٍ ، وغنى مُطغٍ ، وفى هذا دليل على أن للغنى والفقر طرفين مذمومين ، وبهذا تجتمع الأخبار . **انظر** : تفصيل ذلك فى : « فتح البارى » (١١/ ٢٧٢) ، « السنن الكبرى » للبيهقى (٧/ ١٢) ، « تحفة الأحوذى » (٧/ ١٨٠) ، « تلخيص الحبير » (٣/ ١٢٣) .

لأن استكانة القلب لا تنفكُّ عن استكانة الجوارح ، ومن خشع ظاهره واستكان وقلبه ليس بخاشع ولا مستكين فهو جَبَّار .

وفى الحديث الذى خرّجه النسائىُّ وغيره أن النبىَّ صلَّى الله عليه وسلم مَرّ فى طريق وفيه امرأة سوداء ، فقال لها رجل : هاء الطريق [1] ، فقالت : إنْ شاء يُمْنة ، وإن شاء أخذ يُسْرة ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم : دعوها فإنها جَبَّارة ، فقالوا : يا رسول الله إنها تعنى إنها مسكينة ، فقال : ذاك فى قلبها » [2] .

---

(١) **هاء** : كلمة تنبيه ، وتدخل فى ذا وذِى تقول : هذا ، وهاذاك ، وها كلمة تنبيه للمخاطب كذا فى « القاموس » (٤/ ١٤٧٠) ، و « النهاية » (٥/ ٢٣٧) ، **ومعنى هاء الطريق** : أين الطريق .

(٢) **ضعيف** : رواه النسائى فى « الكبرى » (٦/ ١٤٣) ، و« عمل الليلة » (٥٥٧) ، وأبو يعلى فى « مسنده » (٦/ ٣٤) والطبرانى فى « الأوسط » (٨/ ١٢٢) ، وأبو نعيم فى « الحلية » (٦/ ٢٩١) ، وفى سند النسائى راوٍ مجهول ، وآخر ضعيف عند الباقين . **انظر** : « المجمع » (١٠/ ٩٩) .

تواضع الظاهر وتَكبُّر القلب

وقال الحسن - رحمه الله تعالى - : إنَّ أقوامًا جعلوا التواضع فى لباسهم ، والكبر فى قُلُوبِهِمْ ، ولَبِسوا مدارع[1] الصوف ، والله لأحدهم أشدُّ كبرًا بمدرعته من صاحب السرير بسريره ، وصاحب المُطرف[2] بمطرفه[3] .

وقد صحَّ[4] عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم أنه أنكر أن لبس الثوب الحسن والنعل الحسن كِبرٌ وقال : « الكِبْر بَطَرُ الحق ، وغَمْطُ الناس » وهذا تصريح بأن حُسْنَ اللِّباس

---

(١) **المدارع** : جمع مِدْرَعَةٍ : وهو ثوب لا يكون إلا من الصُّوف ، **وتَمَدْرَع** : لبسه . **انظر** : « القاموس » (٢/ ١٧٠) .

(٢) **المُطْرَفُ** : رداءٌ من خَزٍّ مُرَبَّعٌ ذو أعلامٍ ، والجمع مطارف . **انظر** : « القاموس » (٣/ ٧٠) .

(٣) رواه ابن أبى الدنيا فى « التواضع والخمول » ص ٩٠ رقم (٦٦) .

(٤) وهو ما قاله رجلٌ للنبى ﷺ إنَّ الرجل يُحبُّ أن يكون ثوبه حسنًا ونَعْلُهُ حسنًا ، فقال : « إن الله جميل يحبُ الجمال ، الكبر بطر الحق ، وغَمْطُ الناس » رواه مسلم (١٤٧/ ٩١) ، وأبو داود (٩١٤) ، والترمذى (١٩٩٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

ليس بِكِبْر ، والكِبْر إنما هو فى القلب وهو عدم الانقياد للحقِّ تكَبُرًا عليه ، وغَمْطُ الناس : هو احتقارهم وازدراؤهم ، فمن كان فى نفسه عظيمًا بحيث يحقر الناس لاستعظام نفسه ، ويأنف من الانقياد للحقِّ تكبُّرًا عليه فهو المتكبِّر ، وإن كان ثوبه ليس بحسن ونعله ليس بحسن .

ومن ترك اللِّباس الحَسَن تواضعًا لله [(١)] وخشية أن يقع فى نفسه شىء من الكِبْر فقد أحسن فيما فعل ، فقد كان ابن عمر [(٢)] - رضى الله عنه - يفعل ذلك [(٣)] وقول

---

(١) فيه حديث صحيح رواه معاذ بن أنس الجهنىُّ عن النبىِّ ﷺ : « من ترك اللباس تواضعًا وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من أىِّ حُلَلِ الإيمان شاء أن يلبسها » ، رواه الترمذىُّ (٢٤٨١) ، والحاكم (١/ ١٣٠) ، والبيهقى فى « السنن » (٣/ ٢٧٢) ، وأبو يعلى (٣/ ٦٠) ، وأحمد (٣/ ٤٣٩) وحسَّنه الترمذى وصحَّحه الحاكم والذهبى .

(٢) **عبد الله بن عمر بن الخطاب** رضى الله عنهما ، بايع تحت الشجرة ، من كبار حُفَّاظ الصحابة وعلمائهم ، وهو الذى قال فيه النبى ﷺ : « نِعْم الرجل عبد الله » ، توفى سنة ٧٤هـ . **انظر** : « طبقات ابن سعد » (٢/ ٢٨٤) ، « صفة الصفوة » (١/ ٥٦٣) ، « حلية الأولياء » (١/ ٢٩٢) .

(٣) **انظر** : فى زهد الصحابة وتواضعهم فى اللباس « الزهد » لهناد (٢/ ٣٦٨) ، « الزهد » لابن المبارك (٢٦٠) . =

النبىّ صلىَّ الله عليه وسلم فى الأنبجانية [١] التى لبسها : « إنها أَلْهَتنِى [٢] آنَفًا عن صَلاَتى » [٣] يدلُّ على ذلك [٤] .

= • **فائدة** : ذكر العلماء قاعدة مهمة فى مسألة اللباس ملخصها : أن الأعمال بالنيات فمن لبس جميل الثياب إظهارًا لنعمة الله واستعانة على طاعة الله كان مأجورًا ، ومن لبس فخرًا وخُيَلاء كان آثمًا ، ومن ترك الرفيع من الثياب والغالى منه تواضعًا لله لا بُخْلاً ولا التزامًا للترك ، فإنه مُثَابٌ على ذلك ، وقد كان السلف يكرهون الشهرتين المترفع والمتخفض . ملخصًا من « مجموع الفتاوى » لابن تيمية (٢٢/ ١٣٩) ، « عون المعبود » (١١/ ٥٦) ، « نيل الأوطار » (٢/ ١١٠) .

(١) **الأنْبِجَانية** : كساء غليظ لا عَلَم له ، كثير الصوف ، وقيل منسوب إلى منبج بلدٌ معروف بالشام ، قاله ابن حجر .
انظر : « فتح البارى » (١/ ٥٧٦) ، « شرح السنة » (٢/ ١٨٧) .

(٢) **قوله « أَلْهَتْنِى »** : أى شغلتنى ، يقال لَهِىَ الرجل عن الشىء يَلْهَّى عنه إذا غَفَل . **انظر** : « شرح السُنة » (٢/ ١٨٧) .

(٣) **متفق عليه** : رواه البخارى (٣٧٣) ، ومسلم (٥٥٦/ ٦٢) عن عائشة رضى الله عنها وفيه « اذهبوا بخمِيصَتى هذه إلى أبى جَهْمٍ ، وائتونى بأنْبِجَانية أبى جَهْم ، فإنها أَلهتنى آنفًا عن صلاتى » .

(٤) **قال البغوى وابن دقيق العيد** : وفى الحديث دلالة إلى حفظ البصر فى الصلاة عما يَفتنه فيها ، وفيه مبادرة الرسول ﷺ إلى مصالح الصلاة ، ونفى ما لَعَله يُخْدَش فيها » . **انظر** : « فتح البارى » (١/ ٥٧٦) ، « شرح السُنَّة » (٢/ ١٨٧) .

فصل فى فضل مقام العبودية

وممَّا اختاره صلَّى الله عليه وسلم مَقام العبودية على مقام الملك ، وقام بين يديه صلَّى الله عليه وسلم رجل يوم الفتح فارتعد ، فقال له : « هوّن عليك إنى لست بمَلكٍ ، وإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد [1] » [2] .

وقد صحَّ عن النبىِّ صلَّى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تُطْرُونِى [3] كما أَطْرَتِ النصارى عيسى ابن مريم ، إنما أنا عَبْدٌ فقولوا عَبْدُ الله ورسوله » [4] .

---

(١) **القَدِيد** : اللَّحم المملحُ ، المُجفَّفُ فى الشمس . **انظر** : « النهاية » (٤/ ٢٢) ، « القاموس » (٣/ ٥٦٨) .

(٢) **صحيح** : رواه ابن ماجه (٣٣١٢) ، والحاكم (٣/ ٥٠) ، والطبرانى فى « الأوسط » (١٢٦٠) وهو عند ابن سعد مرسلاً (١/ ٢٣) ، وصححه الحاكم على شرطهما وأقره الذهبى وكذا البوصيرى فى « الزوائد » من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) **لا تطرونى** : الإطراء : المدح ، أطريتُ فلانًا فأفرطت فى مدحه ، وسبب النهى الخوف من المبالغة فى مدحه بما هو فوق ذلك فبادر إلى النهى .
انظر : « فتح البارى » (٦/ ٥٦٥) ، (١٧/ ١٥٤) .

(٤) **صحيح** : رواه البخارى (٦٨٣٠) ، والطيالسى (٢٤٢٤) ، وابن حبان (٤١٣) ، وأحمد (١/ ٢٣) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - حدثنا محمد بن فُضيل [1] عن عمارة [2] عن أبى زُرعة [3] قال : لا أعلمه إلاَّ عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : « جلس جبريل عليه السلام إلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلم فنظر إلى السماء فإذا مَلَكٌ مُهُولٌ فقال جبريل عليه السلام : إنَّ هذا المَلَكَ ما نزل منذ خُلِقَ قبل الساعة ، فلمَّا نزل قال يا محمد : أرسلَنى إليك ربُّك أفَملكًا نَبيًّا يجعلُك أم عبدًا رسولاً ؟ » [4] .

---

(١) **محمد بن فضيل بن غزوان الضبى الكوفى** ثقة حافظ ، وثَّقه ابن معين ، وابن المدينى ، **وقال الدارقطنى** : كان ثبتًا فى الحديث وفيه تشيُّع ، توفِّى سنة ٢٩٥هـ . **انظر** : « التهذيب » (٥/ ٢٥٩) .

(٢) **عمارة بن القعقاع بن شبرمة الضبىّ الكوفىّ** ، وثَّقه ابن معين والنسائىّ وابن حبان ، وأخرج له الجماعة ، وهو تابعىٌّ جليل من السادسة .
انظر : « التقريب » (٢/ ٥٠) ، « التهذيب » (٤/ ٢٦٦) .

(٣) **أبو زُرعة بن عمرو بن جرير البجلى الكوفى** ، قيل اسمه هرم وقيل : **عبد اللَّه ، وعبد الرحمن** ، تابعى ثقة يروى عن أبى هريرة ﷺ ، وجَمْع من الصحابة ، وثقه ابن معين ، والبخارى وابن حبان ، وكان من علماء التابعين .
انظر : « التهذيب » (٦/ ٣٥٨) ، « الكاشف » (٣/ ٢٩٧) .

(٤) **صحيح** : رواه أحمد (٢/ ٢٣١) ، وابن حبان (٦٣٦٥ - إحسان)=

ومن مراسيل يحيى بن كثير [١] - رحمه الله تعالى - أن النبيَّ صلَّى الله عليه وسلم قال : « آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ، فإنما أنا عبد » [٢] خرّجه ابن سعد [٣] فى طبقاته ، وخرّجه أيضًا من رواية أبى معشر [٤]

= وأبو يعلى (١٠/ ٤٩١) ، وابن أبى الدنيا فى « التواضع » ص ١٦٤ ، والبزار (٤٢٦٢ - زوائده) وصحَّحه ابن حبان ، **وقال الهيثمى** : رجاله رجال الصحيح (مجمع : ٩/ ١٨) .

(١) **يحيى بن أبى كثير اليمامى الطائى** ، قال العجلى : ثقة من أصحاب الحديث ، **قال أحمد** : يحيى إمام من أثبت الناس ، توفِّى سنة ١٣٢هـ . **انظر** : « التقريب » (٢/ ٣٥٦) ، « التهذيب » (١١/ ٢٦٨) ثقات العجلى ص ٤٧٥ .

(٢) **صحيح بشواهده** : رواه ابن سعد فى « الطبقات » (١/ ٣٧١) ، عبد الرزاق فى « مصنفه » (١٩٥٥٤) والبيهقى فى « الشعب » (٥٩٧٥) عن يحيى مرسلاً ، ورواه ابن المبارك فى « الزهد » (١٩٣) عن عبد الله بن عبيد عن النبىِّ ﷺ ، وقد روى موصولاً وسيأتى بعده .

(٣) **محمد بن سعد بن منيع البصرى** كاتب الواقدى ، **قال الخطيب** : كان من أهل العلم والفضل ، صنَّف كتاب « الطبقات الكبرى » فى الصحابة والتابعين فأجاد ، توفِّى سنة ٢٣٠هـ . **انظر** : « تاريخ بغداد » (٥/ ٣٢١) ، « ميزان الاعتدال » (٣/ ٥٦٠) ، « السير » (١٠/ ٦٦٤) .

(٤) **أبو معشر** : **نجيح بن عبد الرحمن السندى أبو معشر المدنى** ، مشهور بكنيته ، ضعيف من السادسة ، توفِّى سنة ١٧٠هـ .

انظر : « التقريب » (٢/ ٢٩٨) ، « التهذيب » (٥/ ٦١٠) .

عن المَقْبُرِى [1] عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبىَّ صلَّى الله عليه وسلم قال : « أتانى مَلَكٌ ، فقال : إنَّ ربَّك يقرأ عليك السَّلام ، ويقول : إن شئت نَبِيًّا ملكًا ، وإنْ شئت عبدًا رسولاً ، فأشار إلىَّ جبريل عليه السلام ضَعْ نفسك ، فقلت نبيًّا عبدًا ، قالت : فكان النبىُّ صلىَّ الله عليه وسلم بعد لا يأكل متكئًا ، ويقول : آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » [2] .

ومن مراسيل الزهرى [3] - رحمه الله تعالى - قال :

---

(١) **سعيد بن أبى سعيد المَقْبُرِى** ، تابعىٌ جليل ، محدِّث ، وثَّقه الناس ، **وقال ابن خراش** : ثقة ثبت جليل صدوق ، روايته عن عائشة - رضى الله عنها - مرسلة ، توفى سنة ٢٠هـ . **انظر** : « التقريب » (١/ ٢٩٧) ، « التهذيب » (٤/ ٣٨) ، « الكاشف » (١/ ٢٨٧) .

(٢) **حسن بشواهده** : رواه ابن سعد (١/ ٢٨١) والبغوى فى « شرح السنة » (٤٨٣٩) ، وأحمد فى « الزهد » (٥ ، ٦) ، وأبو يعلى (٨/ ٣١٨) وله شاهد عند الطبرانى فى « الكبير » (٨/ ٢٠٠) ، وحسنه الهيثمى فى « المجمع » (٩/ ١٩) وكذا السيوطىُّ فى « الجامع الصغير » لتعدد طرقه .

(٣) **محمد بن مسلم بن عُبَيْد اللَّه بن شهاب الزهرى المدنى** ، أحد الأئمة الأعلام ، أحفظ أهل زمانه للسنن ، وأحسنهم سياقًا لها ، وكان فقيهًا فاضلاً ، =

بلغنا أنه أتى النبىَّ صلىَّ الله عليه وسلم مَلَكٌ لم يأته قبلها ومعه جبريل عليه السلام فقال المَلَكُ وجبريل عليه السلام صامت : إنَّ ربَّك يخيرك أن تكون مَلِكًا أو نبيًّا عبدًا ، فنظر النبىُّ صلىَّ الله عليه وسلم إلى جبريل عليه السلام كالمستشير فأشار إليه أن تواضع ، فقال رسول الله صلىَّ الله عليه وسلم : « نبيًّا عبدًا » ، قال الزهرى : فزعموا أن النبىَّ صلىَّ الله عليه وسلم لم يأكل متكئًا منذ قالها حتى فارق الدنيا (١) .



= توفى سنة ١٢٤هـ ، **انظر** : « السير » (٥/ ٣٢٦) ، « طبقات خليفة » ص ٢٦١ ، « التاريخ الصغير » (١/ ٣٢٠) .

(١) **حسن بشواهده** : رواه عبد الرزاق فى « مصنَّفه » (٢/ ١٨٤ - ٥٢٤٧) عن الزهرى ، وفى (١٠/ ٤١٧ - ١٩٥٥٢) عن طاوس بن كيسان عن أبيه مرسلًا ، وقد وصله ابن المبارك فى « الزهد » (٧٦٦) عن الزهرى ، عن محمد ابن عبد الله بن عباس عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وكذا البيهقى فى « السنن » (٤/ ١٧١) ، والطبرانى فى « الكبير » (١٠/ ٢٨٨) ، وقال فى « تحفة الأحوذى » (٥/ ٤٥٣) : سنده حسن .

اختيار النبى ﷺ الآخرة على الدنيا

وفى « المسند » أو فى كتاب الترمذىّ عن أبى أُمامة [(١)] - رضى الله عنه - عن النبىِّ صلَّى الله عليه وسلم قال : « عرض علىّ ربى عزَّ وجلَّ أن يجعل لى بطحاء [(٢)] مكة ذهبًا ، فقلت : لا يارب ، ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا ، وقال ثلاثًا نحو هذا ، فإذا جُعْتُ تضرَّعتُ إليك ، وإذا شبعت شكرتُكَ » [(٣)] .

---

(١) **أبو أُمَامَة** : الصُّدى بن عجلان يُكنى بأبى أمامة الباهلى رضي الله عنه ، صحابى جليل ، سكن مصر ومات بالشام سنة ٨٦هـ . **انظر** : « الإصابة » (٢/ ١٨٢) ، « تهذيب الكمال » (١٣/ ١٥٨) ، « السير » (٣/ ٣٥٩) .

(٢) **بطحاء الوَادى وأبْطَحُه** : حصاه اللَّيِّن ، والمكان الواسع فيه دقاق الحصى ، وأبطح مكة هو مَسِيل وَادِيها ، وجمعه بطَاح .
انظر : « النهاية » (١/ ١٣٤) ، « القاموس » (١/ ٢٨٥) .

(٣) **فيه ضعف** : رواه أحمد (٥/ ٢٥٤) ، والترمذىُّ (٢٣٤٧) ، وابن المبارك فى « زوائد الزهد » (٢/ ٥٤) والطبرانى فى « الكبير » (٨/ ٢٠٧) وحسَّنه الترمذىُّ ، وفيه على بن يزيد الألهانى ، وهو ضعيف .

قال بعض العارفين [1] : من ادَّعى العبودية وله مُرادٌ باقٍ فهو كاذب فى دعواه ، إنما تصحُّ العبودية لمن أفنى مراداته ، وقام بمراد سيده يكون اسمه ما سُمِّى به ، ونعته ما حُلِّى به ، إذا دعا باسمه أجاب عن العبودية ، فلا اسم ولا رسم ، ولا يجيب إلاَّ لمن يدعوه بعبودية سيده » [2] .

وأنشد يقول [3] :

---

(١) هو **أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربى** ، من كبار مشايخ الصوفية الزُّهاد وهو أستاذ إبراهيم الخواص ، وله رواية للحديث ، توفى سنة ٢٩٩هـ .
انظر : « طبقات الصوفية » للأزدى ص ١٩٥ ، « المنتظم » لابن الجوزى (٦/ ١١٣) .

(٢) **انظر** : هذا النص وعزوه إلى أبى عبد الله المغربى فى « الطبقات الكبرى » لابن السبكى (٨/ ٢٨٥ ، ٢٨٦) ، « طبقات الصوفية » للأزدى ص ١٩٠ .

(٣) ذكر هذه الأبيات وعزاها إلى المغربى الزاهد الإمام الرافعى فى « فوائده » بسنده إلى المغربى كما فى « طبقات ابن السبكى » (٨/ ٢٨٥ ، ٢٨٦) وكذا فى « طبقات الصوفية » ص ١٩٠ .

ياعمرو ثارى عندَدَهْرى[1] يعرفه السامعُ والرائى
لا تَدْعُنِى إلاَّ بِيَا عبدها فإنه أصدق[2] أسمائى

وأنشد الآخر :

مالى وللفقر إلى عاجز مثلى لا يملك إغنائى
وإنما يحسنُ فقرى إلى مالِك إسعادى وإشقائى
أتيته عَجبًا بانتماء إلى أبوابه إذ قلتُ مولائى
لا تَدْعُنى إلاَّ بِيَاعَبْده فإنه أشرفُ أسمائى

★ ★ ★

---

(١) فى المصدر السابق (أسماء) بدلاً من دهرى .
(٢) فى المصدر السابق (لأنه أشرف أسمائى) بدلاً من (أصدق أسمائى) .

من حِكَم لقمان

روى الحافظ أبو نعيم - رحمه الله تعالى - فى كتاب « أسماء الصحابة »[1] من طريق الشيخ أبى سليمان الدارانى[2] - رحمه الله تعالى - حدَّثنى علقمة[3]

---

(١) ذكره فى « كشف الظنون » (٢/ ١٧٣٩) وسمَّاه « معرفة الصحابة » لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى المتوفّى سنة ٤٣٠هـ .

(٢) **أبو سليمان الدارانى** : **عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الأندلسى** أحد أئمة الزهد والتصوف والورع ، **قال الخطيب** : كان إمامًا كبير الشأن فى علوم الحقائق ، توفّى سنة ٢٢٥هـ ، **وقيل** : سنة ٢٠٥هـ .

انظر : « حلية الأولياء » (٩/ ٢٥٤) ، « تاريخ بغداد » (١٠/ ٢٤٨) ، « النجوم الزاهرة » (٢/ ١٧٩) .

(٣) اختلف ضبط هذا الاسم فى كتب الرجال ، فذكره ابن حجر فى « الإصابة » (٣/ ٢٤٤) من طريق الدارانى فجعله علقمة بن يزيد بن سويد الأزدى حدثنى أبى عن جدى سويد بن الحارث الأزدى ، وكذا ذكره أبو نعيم فى « الحلية » (٩/ ٢٧٩) ، وابن كثير فى « البداية » (٥/ ٩٤) من طريق أبى نعيم فى « معرفة الصحابة » وذكره فى « التدوين » (٢/ ٧٢) ، فجعله علقمة بن سويد ابن علقمة بن الحارث ، **قال ابن حجر** : والأول أشهر .

ابن سويد بن الحارث الأزدى [1] عن أبيه عن جده [2] يذكر وينقل عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : جمعت لك حكمتى فى سِتّ كلمات : « اعمل للدنيا بمقدار بقائك فيها ، واعمل للآخرة بمقدار بقائك فيها ، واعمل لله بمقدار حاجتك إليه ، واعمل من المعصية بمقدار ما تطيق من العقوبة ، ولا تسأل إلاَّ من لا يحتاج إلى أحَدٍ ، وإذا أردت أن تعصى الله فاعْصه فى مكان لا يراك فيه » [3] .

وقال إبراهيم الخوّاص [4] - رحمه الله تعالى - : دواء

(١) ذكره الذهبى فى « الميزان » (٣/ ١٠٧) ، وابن حجر فى « اللسان » (٤/ ١٨٨) ، **وقالا** : عَلْقَمَةُ بن يزيد بن سويد عن أبيه عن جده لا يُعْرف ، وأتى بخبر منكر فلا يحتج به .

(٢) **سويد بن الحارث الأزدى** ، ذكره العسكرى وأبو نعيم فى الصحابة ، وأبو سعيد النيسابورى فى « شرح المصطفى » كذا فى « الإصابة » (٣/ ٢٤٤) ، « التدوين فى أخبار قزوين » (٢/ ٧٢) .

(٣) الأثر رواه أبو نعيم فى « معرفة الصحابة » وفيه علقمة وهو مجهول كما سبق ، وأوله مروى عن سفيان الثورى فى « الورع » لأحمد بن حنبل ص ٩٦ ، « الحلية » (٧/ ٥٦) ، وكذا فى المقصد الأرشد (٢/ ٢٠٠) .

(٤) **إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص ، أبو إسحاق** من كبار شيوخ=

القلوب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبُّر ، وخلاء الباطن ، وقيام الليل ، والتضرُّع عند السَّحَر ، ومُجالسة الصالحين [1] .

وقال إبراهيم بن أدهم [2] - رحمه الله تعالى - فى موعظته حين سألوه عن قوله تعالى : ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ [3] وإنَّا ندعوه فلم يستجب لنا ، فقال لهم : عرفتم الله فلم تطيعوه ، وقرأتم القرآن فلم تعملوا به ،

= التصوف الزُّهاد ، توفِّى سنة ٢٨٤هـ ، **وقيل** : سنة ٢٩١هـ بالرى وبها قبره .

انظر : « تاريخ بغداد » (٦/ ٧ - ٩) ، « طبقات الصوفية » ص ٢٢٠ ، « الحلية » (١٠/ ٣٢٦ ، ٣٣٦) .

(١) الأثر ثابت عن الخواص ذكره أبو نعيم بسنده إليه فى « الحلية » (١٠/ ٣٢٧) وكذا فى « صفة الصفوة » (٤/ ١٥١) ، « طبقات الصوفية » ص ٢٢٥ « النور السافر » (١/ ٩٤) .

(٢) **إبراهيم بن أدهم ، ابو إسحاق البَلْخِىُّ** ، الإمام الزَّاهد العابد ، من كبار شيوخ التصوف ممن كانوا على مذهب السلف ، صحب الثورى والفضيل ابن عياض ، وتوفِّى سنة ١٦١هـ . **انظر** : « طبقات السلمى » (٢٧ - ٣٨) ، « حلية الأولياء » (٧/ ٣٦٧) ، « فوات الوفيات » (١/ ٣) .

(٣) سورة غافر ، الآية : ٦٠ .

وعرفتم الشيطان فوافقتموه ، وادَّعيتم حبَّ رسول الله ﷺ ، وتركتم سُنَّته ، وادَّعيتم حبَّ الجنَّة ولم تعملوا لها ، وادَّعيتم خوف النار ولم تنتهوا عن الذنوب ، وقلتم : إن الموت حقٌّ ولم تستعدّوا له ، واشتغلتم بعيوب غيركم ولم تنظروا إلى عيوبكم ، وتأكلون رزق الله ولا تشكرون ، وتدفنون أمواتكم ولا تعتبرون[1] .

فنسأل الله تعالى أن يوفِّقنا لما يرضيه عنَّا برحمته ويختم لنا بخير ، آمين ، إنه أرحم الراحمين ، ربُّ العالمين ، وصلَّى الله تعالى على خاتم النبيِّين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وحسبى الله عليه توكلت ونعم الوكيل .



---

(١) رواه أبو نعيم بسنده إلى إبراهيم بن أدهم فى « حلية الأولياء » (٨/ ١٥) ، وكذا القرطبىُّ فى « تفسيره » (٢/ ٣١٢) .

وبه ينتهى التعليق على الكتاب . سطره أفقر عباد الله إليه **أحمد مصطفى أحمد قاسم الطهطاوى** ، محافظة سوهاج ، مركز طهطا فى ١٢ ربيع الآخر من هجرة المصطفى ﷺ سنة ١٤٢٤هـ ، الموافق ١٢ يونيه سنة ٢٠٠٣م .

فهرس الكتاب

الموضوع | الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

★ ★ ★

رقم الإيداع ١٦٨٠٥ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى I.S.B.N -977-297-172-0

دار النصر للطباعة الإسلامية

٢ ـ شارع نشاطى شبرا القاهرة

ت : ٥٧٨٧٩١٨ ـ ٥٧٩٩٩٤٢

الرقم البريدي : ١١٢٣١